وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المقارنة في سورة النساء

دراسة تفسيرية

رسالة قدمها

الطالب
زياد ارحيم حسن

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة المثنى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

بإشراف
أ. د. ليث عباس جاسم

٢٠٢٣م ١٤٤٤هـ

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الزمر آية (٩)

إهداء

- إلى المبعوثِ رحمة للعالمين سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله وسلم)
- إلى وطني الحبيب الذي تفضل عليَّ بضمي داخل حدوده.
- الى ابي الغالي (رحمه الله) ووالدتي العزيزة (اطال الله في عمرها).
- الى اساتذتي في قسم علوم القرآن والتربية الأسلامية
- الى اصدقائي الاوفياء...
- الى كل من أُزهقتِ روحه فداءً لهذا الوطن.
- الى كل من كان له الفضل في اتمامِ هذا العمل.

الباحث

شكر وعرفان

من محامد الكلام وزينته الشكر للخالق المنعم رب العرش العظيم والشكر موصول لأهل الخير الذين وقفوا معي في بحثي هذا ...

لا يسعني الا أن اقدم جزيل شكري وتقديري الى المشرف على رسالتي الذي بذل قصارى جهده من أجل اتمام عملي هذا من خلال متابعتي وتقديم الملاحظات والنصائح وتزويدي بالمصادر العلمية الرصينة التي ساعدتني في انجاز بحثي المتواضع الاستاذ الدكتور **ليث عباس جاسم** ، اذ كان لتوجيهاته السديدة الأثر الكبير في أتمام هذه الرسالة ، دعائي له بالصحة والعافية والتوفيق الدائم وان يكون اسماً لامعاً في سماء العلم والمعرفة ، والشكر موصول ايضاً الى أساتذتي الأفاضل من قسم علوم القرآن والتربية الأسلامية الذين كان لهم الفضل في تكويني وتحصيلي العلمي ، ومن جميل الوفاء أن اقدم شكري وتقديري الى الدكتور مسلم جواد خضير التدريسي في جامعة كربلاء لما قدمه لي من عون ومصادر علمية قيمة فجزاه الله خير الجزاء لجهوده المباركة ، واقدم شكري وتقديري الى عائلتي التي وفرت لي ما احتاجه من مستلزمات الدراسة فلهم مني كل الشكر والوفاء والعرفان ، اخيراً اتقدم بالشكر والامتنان الى كل من وقف الى جانبي وقدم لي الدعم والمشورة وساعدني في اتمام عملي هذا ...

والله ولي التوفيق

الباحث

اقـرار المـشـرف

اشهد ان اعداد هذه الرسالة الموسومة(المقارنة في سورة النساء دراسة تفسيرية)والمقدمة من قبل الطالب **(زياد ارحيم حسن)** قد جرى تحت اشرافي في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة المثنى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية .

التوقيع :

المشرف : ليث عباس جاسم

الدرجة العلمية :

التاريخ / / ٢٠٢٣

اقرار رئيس القسم

بناء على التوصيات أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم :

الدرجة العلمية :

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية / كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ / / ٢٠٢٣

شهادة الخبير اللغوي

اشـهد أن الرسالةالموسـومة (المقارنـة فـي سـورة النسـاء دراسـة تفسـيرية)والمقدمـة مـن قبـل الطالـب **(زيـاد ارحـيم حسـن)** فـي قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة المثنى قد قومتها لغوياً فوجدتها صالحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

الدرجة العلمية :

مكان العمل : كلية / جامعة

التاريخ / / ٢٠٢٣

شهادة الخبير العلمي (الاول)

اشهد باني قد اطلعت على رسالة الماجستير المقدمة من قبل الطالب (**زياد ارحيم حسن**) في قسم علوم القــرآن والتربيةالإســـلامية / كليـــة التربيـــة للعلـــوم الانســـانية/ جامعـــة المثنـــى والموســـومة (المقارنة في سورة النساء دراسة تفسيرية) فقومتها علميا فوجدتها صالحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

الدرجة العلمية :

مكان العمل : كلية / جامعة

التاريخ / / ٢٠٢٣

شهادة الخبير العلمي (الثاني)

اشهد باني قد اطلعت على رسالة الماجستير المقدمة من قبل الطالب **(زياد ارحيم حسن)** في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية / كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة المثنى والموسومة(المقارنة في سورة النساء دراسة تفسيرية) فقومتها علميا فوجدتها صالحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

الدرجة العلمية :

مكان العمل : كلية / جامعة

التاريخ / / ٢٠٢٣

اقرار لجنة المناقشة

نحن اعضاء لجنة المناقشة نشهد باننا اطلعنا على الرسالة الموسومة(المقارنة في سورة النساء دراسة تفسيرية)وقد ناقشنا الطالب (**زياد ارحيم حسن**) في محتوياتها وفيما له علاقة بها وترى بها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية وبتقدير ( )

التوقيع :

الدرجة العلمية :

الاسم :

رئيساً

/ / ٢٠٢٣

التوقيع :

الدرجة العلمية :

الاسم :

عضواً

/ / ٢٠٢٣

التوقيع :

الدرجة العلمية :

الاسم :

عضواً

/ / ٢٠٢٣

التوقيع :

الدرجة العلمية :

الاسم :

عضواً ومشرفاً

/ / ٢٠٢٣

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة المثنى على قرار لجنة المناقشة بتاريخ / / ٢٠٢٣

التوقيع :
أ. د. باسم خيري خضير
عميد كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة المثنى
/ / ٢٠٢٣

المستخلص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد وأله الطيبين الطاهرين ....

القرآن الكريم خطاب السماء الامثل والأوحد في رسم خارطة الطريق للبشرية نحو الحياة المثلى والسامية في جميع مجالاتة ، غاية ذلك رفع شأن الأنسان والمجتمع الانساني عن طريق القوانين

الدستورية التي تنظم العلاقات بين أبناء البشرية على مستوى الانسان بالإنسان ، والانسان بالمجتمع، والمجتمعات مع بعضها الاخر ، وفي وضعه ذاك لم يغادر كتاب الله العزيز صغيرة أوكبيرة الااحصاها ووضع لها التأصيل التشريعي الرصين والمتماسك من دون أي خلل فيه ، لذا أضحى القرآن منهلاً خصباً للأفكار، ومعيناً لا ينضب وعطاءً متجدداً للأفادة منه ، اذ أودع فيه الكثير من العلوم والموضوعات الحياتية التي مبتغاها الأساسي معالجة وقائع المجتمع وتنظيمه وفق رؤى السماء السديدة وكانت تلك المعالجات تتم بعرض النصوص القرآنية الممتلئة بالأجابات الواقعية ، فقد عرض كتاب الله العزيز كل ذلك من خلال الموضوعات التي تضمنتها تلك النصوص ، ومن تلك الموضوعات التي يمكن تسميتها (بالمقارنة) بين الأشياء المختلفة في أنماط الحياة الأعتقادية والتشريعية والتربوية والاخلاقية والعلمية وغيرها ، ويظهر أن الغاية الأساسية من هذا الموضوع – المقارنة – هو التصحيح لنمط الحياة السلبي نحو نمط الحياة الايجابي .

وأقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة فجاء عنوان التمهيد (البيان الدلالي لمفهوم المقارنة) أما الفصل الاول فجاء بعنوان (المقارنة في نطاق آيات العقيدة) اما الفصل الثاني فقد حمل عنوان (المقارنة في نطاق آيات الأحكام) أما الفصل الثالث قام على عنوان (المقارنة في نطاق الآيات الأخلاقية والتربوية).

واعتمدت الدراسة في الكتابة على المنهج الوصفي التحليلي للوصول الى النتائج المثمرة ، والتي توصل اليها الباحث خلال مسيرة البحث ، والتي كانت على النحو الآتي :

١– تبلور ان مفهوم المقارنة جاء بعديد من المعاني عند المعجميين مثل : الموازنة ، المقابلة ، المفارقة ، المصاحبة ، المساواة ، المقايسة .

٢– تبين ان المقارنة لها العديد من الأدوات والتي وردت في القرآن الكريم ودلت على طرفي المقارنة كأداة الاستفهام هل و لا النافية وحروف التشبيه .

٣– تبين الإعجاز القرآني بين طرفي المقارنة في الالفاظ التي وردت في البحث ووجدت على الصيغة الدلالية نفسها في التقابل والتضاد في الالفاظ مثل (الخبيث والطيب ، القاعدون والمجاهدون ، الكافرون والمؤمنون ،العمل الصالح والطالح ،.... الخ من الألفاظ.

٤– ورود المقارنة ومعانيها في مضمون المحتوى النصي لكثير من الآيات الواردة في سورة النساء كالمصاحبة ، المقايسة ، المساواة ، المقابلة ، الموازنة.

٥– ظهر ان المقارنة تستطيع اظهار المواضيع المركزية من خلال أضدادها وترسيخها في الذهن والتي تجلو العلاقة بينهما .

٦– يبدو ان المقارنة هي اداة مهمة ورئيسية و التي من خلالها نتوصل الى حقيقة الشيء المُقارن به فهي احدى ادوات القرآن في توصيل الفكرة للمخاطب .

٧ – تجلى ان الكثير من الموضوعات تناولتها المقارنة بالمعالجة وتحديد مرتكزاتها كما هو الحال في بيان المقارنة بين المؤمنين والكافرين ، المتعلمين وغير المتعلمين ، الطيب والخبيث ...الخ وانسحب هذا الحال على الكثير من آيات سورة النساء .

٨ – تبين أن للمقارنة أهمية كبيرة وذلك من خلال النصوص القرآنية على مستوى القرآن عموماً وسورة النساء خصوصاً. ففيها اهمية في بيان الحقائق وترسيخها في الذهن وذلك بكشف الشيء السلبي مثل الكفر والابتعاد عنه والتوجه للأيمان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العامين .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الآية الكريمة
ت	الاهداء
ث	الشكر والعرفان
١ – ٥	المقدمة
٣	اسباب اختيار الموضوع
٣	مشكلة البحث
٣	منهج الدراسة
٤	صعوبات البحث
٤–٥	مقتضيات البحث
٦ – ٤٢	التمهيد: البيان الدلالي لعنوان الدراسة .
٦–٤٢	المبحث الأول : البيان الدلالي لمفهوم المقارنة واهميتها
٦–٩	اولاً : المقارنة لغة واصطلاحاً:
٦	١– المقارنة لغة :
٧–٩	٢ـ المقارنة اصطلاحاً :
٩–١١	ثانياً : اهمية المقارنة
١١–١٨	ثالثاً: نظرةعامة في سورة النساء
١٢–١٣	١ـ فضائل سورة النساء
١٣–١٤	٢ـ وجوه تنسابها
١٤–١٦	٣ـ مضمون سورة النساء
١٦–١٨	٤ـ الفاظ ذات الصلة للمقارنة
١٩–٢٤	المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة بالمقارنة :
١٩–٢٠	اولاً: الموازنة :
١٩	١ – الموازنة لغةً .
١٩–٢٠	٢ – الموازنة اصطلاحاً:
٢٠–٢١	ثانياً: المقابلة :

١- المقابلة : لغةً :	٢٠
٢ – المقابلة: اصطلاحاً:	٢١
ثالثا : المفارقة :	٢١-٢٢
١- المفارقة لغةً :	٢١
٢ – المفارقة اصطلاحاً:	٢٢
رابعاً: المصاحبة :	٢٢-٢٣
المصاحبة لغةً :	٢٢
المصاحبة اصطلاحاً :	٢٢-٢٣
خامساً: المساواة :	٢٣
١ – المساواة لغةً :	٢٣
٢ – المساواة اصطلاحاً :	٢٣
سادساً : المقايسة :	٢٤
١ – المقايسة لغة :	٢٤
المقايسة اصطلاحاً:	٢٤
المبحث الثالث : شواهد المقارنة في القرآن :	٢٥-٤٢
شواهد تطبيقيه :	٢٥-٣٥
اساليب الخطاب القرآني الدالة على المقارنة :	٣٥-٤٢
اولا : التضاد :	٣٥-٣٦
ثانيا : الاستفهام او التوبيخ او التبكيت في القرآن الكريم :	٣٧-٣٩
ثالثاً :أستخدام اسلوب التشبيه :	٤٠-٤١
رابعاً : المثل	٤١-٤٢
الفصل الأول : المقارنة في نطاق آيات العقيدة في سورة النساء.	٤٣ – ٨٧
توطئة :	٤٤
المبحث الأول : المقارنة في آيات التوحيد :	٤٥-٦٣
المطلب الأول : التوحيد في اللغة والاصطلاح :	٤٥-٤٦
المطلب الثاني :المقارنة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين في صفة الإيمان:	٤٦-٤٩
المطلب الثالث : المقارنة بين الإيمان والكفر :	٥٠-٥٣

المطلب الرابع : المقارنة بين أثر الشرك وعدمه:	٥٣-٥٤
المطلب الخامس : المقارنة بين أهل الكفر وأهل الإيمان من حيث الطاعة:	٥٤-٥٦
المطلب السادس : المقارنة بين المؤمن والكافر من حيث الصدق وعدمه :	٥٦-٦٠
المطلب السابع : المقارنة بين العبادة لله والأشراك به :	٦٠-٦٢
المطلب الثامن : المقارنة بين الوحدانية لله وبين تعدد الآلهه	٦٢-٦٣
المبحث الثاني :المقارنة في آيات النبوة :	٦٤-٧٢
المطلب الأول : الطاعة والمعصية لله تعالى وللرسول (ﷺ)	٦٤-٦٧
المطلب الثاني:المقارنة بين الإيمان بالرسول(ﷺ) وبين عدم التصديق به :	٦٧-٦٨
المطلب الثالث : المقارنة بين الذين يتحاكمون الى الرسول وكتابه وبين الذين يتحاكمون للطاغوت :	٦٨-٧٠
المطلب الرابع : المقارنة بين الطاعة والمعصية للرسول (ﷺ)	٧٠-٧٢
المبحث الثالث :المقارنة في آيات الجهاد :	٧٣-٧٩
المطلب الأول : المقارنة بين أهل الإيمان وبين أهل الطاغوت في الجهاد :	٧٣-٧٥
المطلب الثاني : المقارنة بين المتخلفين من المؤمنين من غير اولي الضرر وما بين المجاهدين في سبيل الله :	٧٥-٧٧
المطلب الثالث : المقارنة بين الذين يشترون الحياة الدنيا الزائلة مقارنة بالآخرة:	٧٧-٧٩
المبحث الرابع : المقارنة بين التوبة المقبولة وعدمها .	٨٠-٨٤
المبحث الخامس : المقارنة بين الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة	٨٥-٨٧
الفصل الثاني : إمكانية تحديد موارد المقارنة في بعض آيات الأحكام في منظور أقوال الفقهاء:	٨٨-١٢٠
توطئة :	٨٩

المبحث الأول : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في العبادة :	٩٠-١٠٣
المطلب الاول : زيادة الإرث للرجل مقارنة بالمرأة :	٩١-٩٢
المطلب الثاني : المساواة في النصيب بين الرجل والمرأة:	٩٢-٩٣
المطلب الثالث : المقارنة بين حق الميراث للرجل والمرأة عند عرب الجاهلية والمجتمع الإسلامي :	٩٣-٩٥
المطلب الرابع : المقارنة بين الكلالة من جهة الأم وبين الكلالة من جهة الأب في الإرث :	٩٥-٩٨
المطلب الخامس : المقارنة في المال الخبيث والطيب المتعلقة في حق اليتيم	٩٨
المطلب السادس : الخبيث في اللغة والاصطلاح :	٩٩
المطلب السابع : الطيب في اللغة والاصطلاح :	١٠٠
المطلب الثامن : المقارنة بين الخبيث و الطيب .	١٠٠-١٠٣
المبحث الثاني : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في المعاملات	١٠٤-١١٤
المطلب الأول : المهر في اللغة والاصطلاح :	١٠٤-١٠٥
المطلب الثاني :المقارنة بين اعطاء المهر وعدمه :	١٠٥-١٠٧
المطلب الثالث :المقارنة في المحرمات من النساء:	١٠٧
المطلب االرابع :التحريم المؤبد:	١٠٧-١١٤
المطلب الخامس : المحرمات تحريماً موقتاً	١١٤
المبحث الثالث : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في الجنايات	١١٥-١٢٠
المطلب الأول : القتل الخطأ:	١١٥-١١٩
المطلب الثاني : القتل العمد :	١١٩-١٢٠
الفصل الثالث : المقارنة في نطاق الآيات التربوية والأخلاقية	١٢١-١٤٣
توطئة	١٢٢

المبحث الأول : المقارنة بين المصلحين والمخالفين في المجتمع	١٢٣-١٢٥
المبحث الثاني : المقارنة بين مصير الطالحين والصالحين من اليهود	١٢٥-١٢٧
المبحث الثالث : المقارنة بين العمل السيء والعمل الصالح	١٢٨-١٣١
المبحث الرابع :المقارنة بين الأنفاق رياءً والأنفاق في سبيل الله	١٣١-١٣٤
المبحث الخامس: المقارنة في نطاق سمات الأخلاق الحسنة وعدمها	١٣٤-١٤٣
نتائج البحث :	١٤٤-١٤٦
المصادر والمراجع :	١٤٧-١٥٨

المُقدمة

المُقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وآله ويلم الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

القرآن الكريم خطاب السماء الأمثل والأوحد في رسم خارطة الطريق للبشرية نحو الحياة المثلى والسامية في جميع مجالاتها ، غاية ذلك رفع شأن الانسان والمجتمع الإنساني عن طريق سن القوانين الدستورية التي تنظم العلاقات بين أبنائه على مستوى الأنسان بالإنسان ، والإنسان بالمجتمع ، والمجتمعات بعضها مع البعض الآخر، وفي وضعه ذاك لم يغادر كتاب الله العزيز صغيرة أو كبيرة الا احصاها ووضع لها التأصيل التشريعي الرصين والمتماسك من دون أي خلل فيه ؛لذا اضحى القرآن الكريم منهلاً خصباً للأفكار ، ومعيناً لا ينضب ، وعطاءً متجدداً للإفادة منه ، اذ أودع فيه الكثير من العلوم والموضوعات الحياتية التي مبتغاها الأساسي معالجة وقائع المجتمع وتنظيمه وفق رؤى السماء السديدة ، وكانت تلك المعالجات تتم بعرض النصوص القرآنية الممتلئة بالإجابات الواقعية ، فقد عرض كتاب الله العزيز كل ذلك من خلال الموضوعات التي تضمنتها تلك النصوص ، فكانت تلك الموضوعات هي الكلية الكبرى في وضع الحلول الجذرية للحياة المجتمعية وكانت صيغة تلك الموضوعات وأساليبها النصية متنوعة بحسب مضامينها ، ومن تلك الموضوعات المختلفة في صيغتها الأسلوبية موضوع فيه معالجات ولفتات وتأملات يمكن تسميتها بحسب الناظر فيها بـ (المقارنة) بين الأشياء المختلفة في أنماط الحياة الاعتقادية والتشريعية والتربوية والأخلاقية والعلمية وغيرها ويظهر ان الغاية الاساسية من هذا الموضوع _ أي المقارنة _ هو التصحيح لنمط الحياة السلبي نحو نمط الحياة الإيجابي فعند ذكر الشيئ السلبي مثل الكفر والآثار المترتبة عليه والوعيد بلعذاب للكافرين مقارنة بالإمان وما فيه من ترغيب بلجنان فهنا تحفيز وتصحيح وارشاد للبشر نحو طريق الصلاح .

كقوله تعالى ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)) [1] . ففي هذا الأسلوب القرآني المقارن وازع للناظر فيه ضرورة تغير المسار نحو مبتغى السماء الذي يدعو الى

[1] الزمر : ٩ .

التميز بين المتعلم وغير المتعلم فكانت غاية النص حث الناس الى التعلم ففيه رقي للنفس وللمجتمع ، وقطعاً هناك اختلاف بينهم وهكذا الحال ينسحب الى المقارنة بين المؤمن والكافر والعاقل وغير العاقل وبين المتكبر والمتواضع وبين رفيع الأخلاق وبين عديم الأخلاق ، و هكذا نجد معالم المقارنة واضحة وجلية في الموضوعات القرآنية وعرض أسلوبها ؛الداعي الى احداث تغير جذري في أسلوب حياة الإنسان ومنطقة وسلوكه وتصرفاته لتحقيق الحياة المثلى والفضلى والمحبكة بالسمو والرقي وتحقيق المنهج الصحيح والدقيق للذات ابتداءً وللأجيال انتهاءً، والتقابل له مفارز عديدة يهدف الى إحداث الأثر في التقابل الحياتي للأنسان ليكون على بينه من أمره امام النماذج المتناقضة التي يتعرض لها ويستفيد منها باختيار ما يناله بعد تحكيم عقله وضبط مشاعره في اهداف تربوية واخلاقية وروحية منضبط مسؤل بالذات ، وهكذا جرى الحال في سورة النساء التي هي موضع بحث هذه الدراسة بالنسبة لموضوع المقارنة ، فقد وردت المقارنات فيها بين الإيمان والكفر، المقارنة في الميراث ومقداره للنساء والرجال ، والمقارنة بين مفهوم الخبيث والطيب ، والمقارنة بين الطاعة والعصيان ، والشقاق والاصلاح ، والحسنة والسيئة ...الخ فكانت هذه المقارنات المتعددة بين المتناقضين والمتضادين على مستوى القرآن الكريم عموماً ، وسورة النساء خصوصاً هي المدعاة الى اختيار الموضوع .

أسباب اختيار الموضوع :

١ – الاشتغال والبحث في نطاق القرآن الكريم الذي يعد منطلقاً ورافداً روحياً و اعتقادياً وعلمياً لكل انسان .

٢– قلة الدراسات السابقة في موضوع المقارنة .

٣– أن موضوع المقارنة من الموضوعات الندية على مستوى البحث العلمي ، ولها مبتغى هادف نحو تصحيح الفكر والمنطق والسلوك الخاطئ ونقضه بالمبتغى الصائب والسديد .

٤– يعد موضوع المقارنة وأسلوب عرضها مصدراً لترسيخ وتوضيح الموضوعات ومعرفة مضامينها ، والعمل بها والالتزام بتوجيهها وتوجهاتها .

٥– رغبة الباحث في الخوض في مثل هكذا موضوعات ، تساعد في التنمية الفكرية والعملية وشد الإنسان نحوها وتصحيح المجرى الفكري .

مشكلة لبحث : وجود السلبيات في بعض القضايا التي تبعد الانسان عن الطريق الحق و التي يجب ان يكون فيه الإنسان كقضايا الجهل والضلال وهذه القضيا سلبيه تحتاج الى حلول ايجابية والحل يكون بالذهاب الى الإيمان والتفكير السديد .

منهج الدراسة : اتبعت الدراسة في مسارها البحثي والعلمي المنهج الوصفي التحليلي عبر استقراء آراء المفسرين واللغويين والفقهاء وغيرهم في وقفتهم الدلالية التفسيرية والاستنباطية للنصوص القرآنية المتضمنة لمفاصل موضوع المقارنة على صعيد القرآن الكريم أو في سورة النساء ، للوصول الى الغاية الجوهرية منها .

صعوبات البحث :

اولاً : ندرة الدراسات العلمية الاكاديمية في مجال دراسة نظير عنوان رسالتي ، الا دراسة واحدة في الباكستان وهي بعنوان (المقارنارنات في القرآن الكريم ومقاصدها دراسة وتحليل) بحسب اطلاعي في الموضوع .

ثانياً : الاختلاف في آراء المفسرين في العديد من الدلالات القرآنية التي لم تؤشر صراحة الى المقارنة بين الآيات التي فسرها المفسرون لذا احتاج الى الوقت الواسع لرفد الدراسة بآرائهم .

وكانت لهذه الدراسة مقتضيات من مواضيع عقدية ومواضيع تربوية واخلاقية وموضيع في آيات الأحكام دعت الى تقسيمها الى تمهيد وثلاثة فصول جاء التمهيد بعنوان **(البيان الدلالي لمفهوم المقارنة)** وأحتوى على خمسة مباحث :

المبحث الأول : البيان الدلالي لمفهوم المقارنة .

المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة بالمقارنة .

المبحث الثالث : شواهد المقارنة في القرآن الكريم واساليبها .

المبحث الرابع :أهمية المقارنة وغايتها :

المبحث الخامس : نظرة عامة في سورة النساء.

وجاء **الفصل الاول** بعنوان **(المقارنة في نطاق آيات العقيدة)** وتضمن خمسة مباحث :

المبحث الأول : المقارنة في آيات التوحيد .

المبحث الثاني : المقارنة في آيات النبوة .

المبحث الثالث : المقارنة في آيات الجهاد .

المبحث الرابع : المقارنة في التوبة المقبولة وعدمها.

المبحث الخامس : المقارنة بين الشفاعة الدافعة للضرر عن الناس وبين الشفاعة السيئة

اما **الفصل الثاني** بعنوان **(المقارنة في نطاق آيات الأحكام)** وتضمن خمسة مباحث

المبحث الأول : المقارنة في مقدار الميراث للرجل والمرأة

المبحث الثاني : المقارنة في المال الخبيث والطيب المتعلقة في حق اليتيم

المبحث الثالث :المقارنة لحق المرأة للصداق وعدمه .

المبحث الرابع :المقارنة في المحرمات من النساء .

المبحث الخامس :المقارنة بين قتل الخطأ والقتل العمدي .

اما الفصل الثالث فكان بعنوان **(المقارنة في الآيات التربوية والأخلاقية)** وتضمن خمسة مباحث :

المبحث الأول : المقارنة بين المصلحين والمخالفين في المجتمع

المبحث الثاني :المقارنة في مصير الطالحين والصالحين من اليهود

المبحث الثالث : المقارنة بين العمل السيء والعمل الصالح

المبحث الرابع :المقارنة بين الإنفاق رياءً والأنفاق في سبيل الله

المبحث الخامس :المقارنة في نطاق سمات الأخلاق الحسنة وعدمها

وهكذا توصلت الدراسة الى طائفة من النتائج في خاتمتها والى قائمة تثبتّ المصادر التي اعتمدها الباحث في دراسته .اخيرا اقول أن عملي هذا قد لا يرقى الى المستوى المرجو منه الطموح لقصور او تقصير فيه فهذا عيب المخلوقين وما الكمال الا لله تعالى ((رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ)) [1] .

الباحث

[1] البقرة : ٨٦ .

التمهيد

البيان الدلالي لعنوان الدراسة

المبحث الأول

البيان الدلالي لمفهوم المقارنة واهميتها

المقارنة منهج ظاهر في القرآن الكريم غايته في التوضيح والبيان و ذلك لأنه يؤثر في النفس واقناعها ويعمل على ترسيخ المعنى فيها من خلال مقارنة الاشياء بعضها للبعض الآخر وصولاً الى المقصد الدلالي في هذا البحث يجري بيانها للوقوف على دلالتها ، وبدءاً لا بُدَ من أن نوضح معنى لفظ (المقارنة) في العرفين اللُّغويّ والاصطلاحيي.

اولاً : المقارنة لغة واصطلاحاً:

١- المقارنة لغة : (وقرنْتُ الشيءَ أقرنه قَرْناً أي شددتهُ)[١]. وقرنت الشيء بالشيء وصلتُه به قرنتُ البعيرين أقْرُنُهُما قرناً، إذا جمعتَهما [٢] ، المفردة مشتقة من الجذر اللغوي (قَرَنَ) قال ابن فارس : (القاف والراء والنون أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على جَمعِ شيءٍ إلى شيء) [٣] .(والقرين المصاحب ،وقارنته قرانا : صاحبته ، والقِرانُ :الْجَمْعُ بَيْنَ الحج العمرة) [٤]و(ق رن) تعني (قارن الشخص صاحَبَهُ ،واقترن به، يحاول أن يقارن العالِمَ ليكتسب منه عِلمًا ، قارن بين الشّيء والشيءّ وازنه به، قابل بينهما وازن بينهما قارن نصوصًا بعضها ببعض) [٥]. القرين :البعير المقرون بآخر، المثل في السن [٦]. والقرين المصاحب [٧].والقِرانُ: (حبل يشد به البعير كأنه يقوده وجمعه ، و (قارنه) مقارنة وقرانا صاحبه واقترن به ، وسوى القوم بينهم أوبين الزوجين قرانا جمع بينهما، والشيء بالشيء اي وازن به الشيئين أو الأشياء ووازن بينها فهو مقارن ،ويقال الأدب المقارن* أو التشريع

---

[١] ظ : الفراهيدي ، العين ، ١٤١/٥ -١٤٢.

[٣] ظ : الجوهري ، الصحاح ، ٦ /١٨١ .

[٣] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٦٢/٥.

[٢] ابن منظور، لسان العرب ، ١٣ / ٣٣٦ .

[٥] أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٣/ ٣٠٥ .

[٦] أحمد رضا ، معجم متن اللغة ٤ / ٥٥١ .

[٧] ا بن كثير ، جامع المسانيد والسنن ، ٤ / ٤٠٥ .

المقارن [١]. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في آيات مختلفة منه قوله تعالى ((فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِين))[٢] . والاقتران بمعنى التقارن [٣] . قال تعالى ((قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِين)) [٤]. و القرين: المصاحب الملازم [٥]. قال عز وجل ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)) [٦]. أي (تسلط الشيطان على الانسان يكون قرينه دائما) [٧]

[٧]

ويتضح مما سبق ان المقارنة لها دلالات عدة منها الجمع والشد ، الوصل ، المصاحبة ،المقاربة ،الموازنة بين الاتجاهات وتبيان الفروق بين الشيء وضده.

٢ – المقارنة اصطلاحاً :

ورد تعريفات عدة لمفهوم المقارنة عرفها العلامة الحلي بأنها (نوع من النّشاط العلميّ الّذي خبرته ضروب المعرفة الإنسانيّة في حقول التّربية، وعلم النّفس، و الاجتماع، و الاقتصاد. إلخ، بصفة أنّ مقارنة الشيء مع الآخر سواء كان ذلك من خلال التّماثل القائم بينهما، أو من خلال التّضاد بينهما يسهم في بلورة و تعميق المفهوم الّذي يستهدفه الباحث) [٨] ،اذ يعرفها الدكتور مصطفي المشني بأنها يراد به (الموازنة بين شيئين أو أكثر والمقابلة بينهما بغية بيان أوجه التماثل والتمايز والاختلاف ثم الترجيح بالأدلة) [٩]،وأشار الدكتور المشني الى معنى المقارنه فجاء فيه قارن الشيء بالشيء: وازنه به، وقارن بين الشيئين او الأشياء: وازن بينها، فهو مقارن، ويقال: الأدب المقارن و التشريع المقارن هذا

---

* التَّأثيرات الأدبيّة المتبادلة التي تتعدّى الحدود اللُّغويّة والجنسيّة والسِّياسيّة، كأن يدرس آداب بلدين فيقابل بينهما، ويربط الواحدة بالأخرى، مستخلصًا أوجه الشبه والتَّأثيرات المتبادلة ، احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ،٣ / ٨٠٦ .

[١] ظ: ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٢/ ٣٧٧.

[٢] الزخرف :٥٣ .

[٣] ظ : الطباطبائي، الميزان١٨ ، /١١١ .

[٤] سورة الصافات :٥١ .

[٥]ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٢٣ / ٣٤ .

[٦] الزخرف: ٣٦ .

[٧] ناصر مكارم ناصر ، الامثل ،١٦ / ٥٥ .

[٨] العلامة الحلي ، منتهى المطلب ،١٠ .

[٩] المشني ، مصطفى أبراهيم ،التفسير المقارن دراسة تأصيلية ، بحث منشورفي مجلة الشريعة والقانون، قسم اصول الدين كلية الشريعة الجامعة الاردنية ، العدد السادس والعشرون، ربيع الأول ١٤٢٧هـ . – ابريل – ٢٠٠٦ ، ١٤٣.

وأن انعدم ذكره في المعجمات القديمة لهذا المعنى، فقد إطلق هذا اللفظ على علوم كثيرة مثل الأدب المقارن و الفقه المقارن كما في دخوله ساحة البحوث والرسائل العلمية بحيث لا تكاد تخلو رسالة أو بحث علمي من موضوع المقارنة بخاصة في موضوعات الشريعة والثقافات العربية والإسلامية، مع هذا كله فالحق أن هذا اللفظ من حيث المعنى وكذلك من حيث الاستعمال قد ظهر قديماً [١] .

والمقارنة (تعني الموازنة بين لأشياء ومنهجها والطريقة التي يتبعها الباحث في الموازنة بين الاشياء)[٢]، وهناك من عرفها بأنها أن يعمد المفسر على جملة من الآيات في مكان واحد و يستطلع أراء المفسرين متتبعاً ما كتب في تفسير تلك الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف أم كانوا من الخلف، وسواء أكان تفسيرهم من التفسير النقلي، أم كان من التفسير العقلي، و يوازن بين الاتجاهات المتباينة و المشارب المتنوعة [٣].

أما المقارنة في المنطق فهي (القضية التي تدل على ان موضوعا من الموضوعات يتميز بحمل احدى الصفات عليه بدرجة اكبر او اصغر، كمن درجة حملها على غيره)[٤].

ويبدو مما سبق أن المقارنة تدخل في اللغة ،او في المنطق، اوفي الفلسفة ، اذ يراد بها بيان الاشياء المختلفة فيما بينها وتستعمل في كثير من المجالات منها علم النفس كمقارنة الذات مع الآخرين وغيرها من المجالات الاخرى وفي معظم العلوم .

ولم تقتصر المقارنة على القرآن الكريم فحسب بل جاءت في السنة النبوية الشريفة قال النبي محمد (ﷺ) في ذكر اوصاف الدنيا وأوصاف الآخرة قال: (مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَضَعُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ السَّبَّابَةَ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ) حيث وصف قدر طول الدنيا ومدتها مقارنة ببقاء دار الآخرة وامتدادها [٥].

---

[١] ظ : المشني ، الفقه المقارن ، دراسة تأصيلية ١٤٥.

[٢] ظ: القيسي، عبد القادر عبد الحميد، مجلة كلية الشريعة ،كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد، العدد السادس ، ١٠٦. ١٠٦.

[٣] ظ : علي كردي مهدي ،المناهج التفسيرية الأربعة (التحليلي، الإجمالي ،المقارن ،الموضوعي) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير ، العراق ، جامعة الكوفة كلية الفقه ،شوال/١٤٤١ هـ – حزيران/٢٠٢٠م ، ١٠٤ .

[٤] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، ٢ / ٤٠٥.

[٥] ابن حبان ، صحيح ابن حبان ،١٩٨/٤ .

وفي حديث آخر قارن النبي(ﷺ) بين الصاحب الصالح والصاحب السيء قال : (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً) [١]. الكير الحدَّاد *

ويتضح من قول الرسول محمد (ﷺ) أن ماورد في خطابهِ يهدف الى وصف الصاحب الصالح بَحَامِلِ الْمِسْكِ مقارنة بالصاحب السيء كنَافِخِ الْكِيرِ الذي فيه ضرر للإنسان كأن تكون رائحة كريهة او تسبب حرق له .

ومما سبق يتبين ان المقارنة التي وردت في السنة النبوية الشريفة بينت الأهداف والمقاصد لكثير من الموضوعات التي لها الأثر الواضح في ترسيخ الافكار والمعنى في أذهان القارئ من خلال وصفها في الاحاديث الشريفة لان معرفة الاشياء تعرف بمعرفة اضدادها .

ثانياً: أهمية المقارنة:

أن للمقارنة أثراً كبيراً في التميز والتباين في الموضوعات حيث يفرز التقابل الذي هو احد أساليب المقارنة ايحاءات متباينة وبما يفرضه المضمون القرآني وخاصة فيما يتعلق بين الظواهر بالمقابلة الكونية أو الزمانية كالسموات والأرض، الليل والنهار ،قال تعالى ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [٢] .

والتقابل العقدي كالإيمان والكفر ، الحق والباطل، الهدى والضلال كما في قوله تعالى ((جْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)) [٣] .

ذلك أن هذه الثنائيات الضدية تظهر في كل آية قرآنية بشكل مختلف وبفكر متجدد يفرضه اختلاف

---

[١] البخاري، صحيح البخاري ،٣ / ٦٣ ، عبد الكريم بن محمد بن منصور ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ٢٧٢ .

* وهو زِقٌّ أو جِلْدٌ غليظٌ ذو حافاتٍ ، الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ٤٥٧٠ .

[٢] آل عمران : ١٩٠ .

[٣] ص : ٢٨ .

السياق القرآني ويدعو إلى تثبيت المتضادين عقيدة وفكراً ووجداناً [١] . و(إن الضِّد يعرف بِضده، وبأضدادها تتميز الأشياء) [٢] .

فعندما يجمع القرآن الكريم بين الايمان فان الجامع بين المتضادين مقصود بينان حقيقة الكفر في الكافر وحقيقة الايمان في المؤمن ، و كذلك حكمته في جمع ما بين الضدين التفريق بين الصالح والطالح .

فالمقارنة لها أهمية في كل المجالات والعلوم ولا تقتصر في علوم القرآن الكريم فهي توجد في الاحاديث النبوية الشريفة وهناك العديد من الاحاديث النبوية الشريفة الدالة على المقارنة فقد ورد عن النبي محمد(ﷺ) قال (يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثمَّ يقوم مُؤذن بَينهم فَيَقُول يَا أهل الْجنَّة لَا موت وَيَا أهل النَّار لَا موت كل خَالِد فِيمَا هُوَ فِيهِ) [٣] .

فهنا نلحظ مقارنة صريحة بين مصير اهل الجنة وبين مصير اهل النار و لكل منها جزاءه الدائم أن كان في الجنة اوفي النار .

وورد عن الامام علي (عليه السلام) قال (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدى، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله (ﷺ) والتحريف لكتابه ورأيتم كيف هدى الله من هدى فلا يجهلنكم) [٤].

وجاء في شرح الحديث (أي اعلموا علما يقينا أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله والتحريف، ورأيتم كيف يهوي من يهوي. ولا يجهلنكم

---

[١] يونس عبد مرزوك ، التقابل اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الاسلامية ، الرمادي ١٢-١١- العدد ٢٨ ، ٢٠١٢ م، ٣٤٨ .

[٢] مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ، ٥ ٤٢٣ .

[٣] مسلم ابن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ،١ / ١١٧ .

[٤] ابن ابي الحديد المعنزلي ، شرح نهج البلاغة ،٩ / ١٠٩ .

الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم) [١] .

يتضح للباحث ان منطق أهمية المقارنة هو المجالات العلمية التي تستعملهاعلى صعيد علوم الشرعية كالاختلافات الفقهية والعقدية وعلم الكلام وعلم الاديان اذ تهتم ببيان الاختلافات بينهما مما يؤدي للوصول الى النتائج المثمرة .

وان المنهج المقارن يدخل في جميع المجالات العلمية والعملية وذلك لتوضيح اوجه التشابه والاختلاف بينهما وللمنهج المقارن فوائد كثيرة فيقوم هذا المنهج على معرفة كيف ولماذا تحدث الظواهر من خلال مقارنتها مع بعضها البعض من حيثيات الشبه والاختلاف وذلك من أجل معرفة العوامل المسببة لحادثة ما أو ظاهرة معينة والظروف المصاحبة لها والكشف عن الروابط والعلاقات بين الظواهر [٢] .

ومن فوائد المقارنة بيان الأشياء وتوضيحها ذلك لان الاشياء تعرف بأضدادها ، وكذلك معرفة مواضع الشبه والاختلاف بين كل من طرفي المقارنة فضلاً عن كونها تثبت المعلومات وترسخها في الأذهان ، لأن المقارنة بين الطرفين تساهم في ادراك الحقائق ، فهي بمثابة كفتي الميزان كونها تساعد الباحث في ايقاض العقل ودعوته الى التدبر وبالتالي الوصول الى المراد الصائب[٣] .

ثالثاً : نظرة عامة في سورة النساء :

سورة النساء من السور المدنية وعدد آياتها مائة وست وسبعون آية وتسلسلها الرابع بين سور القرآن الكريم . ذكر ابن عطية أن هذه السورة مدنية [٤]، جميعها نزلت بالمدينة ،وهي من السبع الطوال

---

[١] الكليني ، اصول الكافي ٨ / ٣٩٠ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٧٥ / ١٠٥ .

[٢] ظ: ربحي مصطفى معيان ، مناهج واساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق ، ٥٦ .

[٣] ظ : حفصة غازي المقارنات القرآنية ومقاصدها (دراسة وتحليل)، العدد١ مجلد ٥٦ ، ١٠٧ .

[٤] ابن عطية ، ا لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٢/ ٣.

* هي سورة البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والانعام، والأعراف والأنفال مع التوبة لأنهما تدعيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة، وقيل ان السورة السابعة هي سورة يونس ، وسميت بالسبع الطوال لأنها اطول السور في القرآن ، وهذا لا يعني أن السورة تناولت الموضوعات التي تخص حقوق المرأة فحسب بل يلاحظ من خلال القراءة للسورة انها تناولت مواضيع الارث ، القوانين العامة لحفظ الأموال العامة وغيرها من المواضيع الاخرى، وسميت بالمثاني لأنها ثنت الطوال التي تليها ظ : ا لمجلسي ،محمد باقر، بحار الأنوار ، ٦٥ /٣٢٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ٣٥١/٥ .

والسبع الطول * وذكر الزركشي ان سبب تسميتها بسورة النساء لما ورد في السورة في الكثير من أحكام النساء [١]،وتسمى سورة النِّساءِ الكبرى، واسم سورة الطَّلاق سورةُ النِّساءِ الصّغرى.[٢] ،وعدد كلماتها ٣٧٤٥كلمة [٣] .

١- فضائل سورة النساء :

ورد في فضل قراءة سورة النساء العديد من الروايات منها مارواه القمي فذكر انه من قرأها في كلّ جمعة أمن من ضغطة القبر[٤].

وذكر ابن كثير في تفسيره قول عبد الله ابن مسعود إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها: [٥] .

١- ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا))[النساء ٤٠]

٢ -((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا)) [النساء ٣١]

٣- ((إِن للَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيما))[النساء ٤٨]

٤ -((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)) [النساء ٦٤]

٥ -((وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا))[النساء ١١٠]

وروي عن ابن عباس ان في سورة النساء ثمان آيات خير للامة مما طلعت عليهن الشمس وغربت .

اولاً (يُرِيدُ اللَّهُ "لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [النساء ٢٦].

---

[١] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٨٧، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ، ١/ ١٤٠.

[٢] الفيروزآبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ١ / ١٦٩ .

[٣] جعفر شرف الدين، ا لموسوعة القرآنية، خصائص السور ، ، ١٠٧/٢ .

[٤] القمي، عباس بن محمّد رضا، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ،٧/ ٦٤٩ ، المجلسي، بحار الانوار ،٨٩ / ٢٧٣ .

[٥] ظ : ابن كثير: القرآن العظيم ، ٢ / ١٨٠ .

ثانيا:((وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)) [النساء ٢٧]

والآية الثالثة ((يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا))[النساء٢٨] وبعد هذه الآيات ذكر قول ابن مسعود [١] :اعطيت السبع الطوال مكان التوراة [٢] . (مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الطُّوَلَ فَهُوَ خَيْرٌ) [٣] .

٢- وجوه تناسبها :

ان التناسب والتناسق بين السور في القرآن الكريم وبين آياته من المعجزات في النص القرآني وآياته المحكمة قال تعالى ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)) [٤]. لذا نجد هذا الاعجاز القرآني بين سورة النساء وسورة آل عمران تارة وبين مطلع السورة وخاتمتها تارة اخرى . وقد ذكر السيوطي ان هذه السورة أيضًا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة فذكر مثال للأعتلاق في التفسير بين سورة الفاتحة وسورة النساء [٥]، كما في قوله تعالى ((الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ))[٦]. وقوله تعالى ((فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) [٧] .

ومن وجوه المناسبة بين سورة النساء وبين سورة آل عمران التي قبلها :أن سورة آل عمران اختتمت بالأمر بالتقوى قال تعالى: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [٨] .

.

وافتتحت سورة النساء بالأمر بالتقوى قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))[٩] . ومن التناسب في السورة أنها افتتحت بذكر بدء الخلق والولادة كما في قوله تعالى

---

[١] ابن كثير ، القرآن العظيم ١/ ٣٥٤ . ، وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ٤ /٢١٩ ، الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير ، المعجم الكبير ، ٩ / ٢٢٠ .

[٢] الهروي، القاسم بن سلاّم بن عبد الله ، فضائل القرآن ، ٢٢٥ .

[٣] الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ٧ / ١٦٢ .

[٤] الزمر : ٢٣ .

[٥] السيوطي، أسرار ترتيب القرآن ، ٦٩ .

[٦] الفاتحة : ٧ .

[٧] النساء : ٦٩ .

[٨] آل عمران ٢٠٠ .

[٩] ظ : اسرار ترتيب القرآن ، جلال الدين السيوطي ،٧١، طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ٣ /٨ .

((يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَة))[١] . وختمت بأحكام الوفاة. [٢] ، في قوله تعالى تعالى ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٣]

٣- مضمون سورة النساء :

تضمنت السورة الكثير من موضوعات الاحكام التشريعية كوجوب رد الأمانات وضرورة ردها الى اصحابها، والاشارة الى ضرورة الحفاظ على اموال اليتامى ... وغيرها من الاحكام الاخرى .

ذكر السيد الطباطبائي ان السورة تناولت موضوعات منها بيان أحكام الزواج كعدد الزوجات وكذلك محرمات النكاح وأحكام المواريث و من أحكام الصلاة والجهاد والشهادات والتجارة وتعرض لحال أهل الكتاب [٤]. وورد عن البقاعي ان من اعظم مقاصد سورة النساء الاحسان والتقارب والتراحم لذوي القربى والعدل في الافعال والاقوال [٥].

و افتتحت هذه السورة باستهلال عظيم التأثير في الضمائر والقلوب، حتى يتلقى ما تشتمل عليه من أحكام بالطاعة والإذعان ، فقد نادى الله الناس وأمرهم بالتقوى، وحثهم امتثال أمره، والبعد عن معاصيه وذكر مبدأ الإنسان وما يجب على أفراده التناصر والتعاطف، والتعاون، ورعاية ذوي الأرحام، و رعاية حقوق الضعفاء من اليتامى والنساء والسفهاء والعناية بالأحكام المتعلقة بالأسرة من النكاح، والميراث، ووجوب العدل بين النساء عند الزواج بأكثر من واحدة ، و الأمر بالمحافظة على الأموال والأعراض، وبيان ما أُحل منها وما حرم و بيان العقوبات الرادعة عن الاعتداء على الأعراض والأموال والأنفس ، وبينت السورة شؤون المنافقين ومآلهم في الآخرة و تعرضت الى المجادلة مع أهل الكتاب وذكر بعض أخبارهم [٦] .

---

[١] النساء : ١.

[٢] السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، ٤٨ .

[٣] النساء : ١٧٦ .

[٤] ظ : الميزان ، ٤ /١٣٤ .

[٥] ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات ١٠ / ٤٥ .

[٦] مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ،التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،٤ / ٧٤٢ .

ويمكن بيان مقاصد السورة كما ذكرها محمد تقي المدرسي : [1] .

١ – تحدثت الآيات :(١– ٢٥)، ومن ثم من آية (٣٣– ٣٥)، ثم من (١٢٧ – ١٣٠)، ثم الآية الأخيرة عن حقوق المرأة وحقوق الأيتام والسفهاء، وتقسيم الإرث بين الرجل والمرأة، والنهي عن المعاملة السيئة لها، وعن الشهادة الباطلة عند وارث المرأة كرهاً، واستلاب حقوقها في المهر، كما بينت حرمة الزواج من نساء معينات، بينهن زوجة الأب السابقة.

٢ – الآيات: (٢٦– ٣٢) تحدثت عن حرمة المال، والنفس .

٣– الآيات: (٣٦– ٤٠) تحدثت عن ضرورة الإحسان إلى الضعفاء، وحرمة البخل، أو إنفاق المال رياءً .

٤– (الآيات: ١٣١– ١٣٤) تحدثت عن ضرورة التقوى والالتزام .

٥– الآيات :(٥٨– ٧٠) تحدثت عن أداء الأمانة (أداء حقوق الناس)، وعن الحكم بالعدل .

٦ – الآيات: (٧٧– ٨٧) تحدثت عن ضرورة الانضباط في القتال، والتزام الطاعة التامة في كل الأوامر ، وعن دور القائد في التحريض على القتال، وحمل الناس على طاعة الأوامر .

٧– الآيات: (٨٨– ٩١) تحدثت عن الحزم من المنافقين، فيحدد القرآن طبيعة المنافقين وأنواعهم، ثم يحدد الموقف منهم .

٨– الآيات : (٩٥– ١٠٠) تحدثت عن المجاهدين والقاعدين والمهاجرين .

٩– الآيات: (١١٧– ١٢٦) يتناول فيها القرآن جوانب شتى عن النفاق، منها أصل

النفاق ودور الشيطان في زرع شتيلة النفاق في النفس ببث أمانيه الخلابة الكاذبة، وأساطيره الساذجة .

١٠– الآيات :(١٥٠–١٦٠) تحدثت عن بساطة الأيمان وأنه حقيقة لا تتجزأ ويبين في الآيات أن الذين لا يؤمنون تحت طائلة عدم الاقتناع هم أناس كاذبون

---

[1] ظ: محمد تقي المدرسي ، مقاصد السور ، ٢٤/١ – ٢٧ .

غير ذلك من المقاصد والمواضيع التي تحتويها السورة المباركة وما تحمله في ثنايا كلماتها الأخرى

٤- الفاظ ذات الصلة للمقارنة في سورة النساء :

لقد سبق الحديث من ان المقارنة في مختلف التعريفات التي جاءت في تصاريفها جاءت بمعاني عدة منها : المقابلة ، المقايسة ، المفارقة ، المواصلة ، و الموازنة بمعنى المساواة ووردت في سورة النساء الالفاظ السابقة كدلالات مشتقة من مفردة المقارنة ودلت على ذلك مجموعة من آراء المفسرين عند تفسيرهم للآيات في سورة النساء وهنا نذكر الشواهد النصية في ذلك :

١ – المصاحبة :

قال تعالى ((وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا)) [١] .(وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا) يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ خَلِيلًا وَصَاحِبًا و يتبع اوامر الشيطان ويترك أمر الله سبحانه وتعالى في إنفاقه لماله رئاء الناس في غير طاعته سبحانه وتعالى ، و جحوده و حدانية الله و البعث بعد الممات . وهنا الاية الكريمة تشير الى المصاحبة بحسب ما جاء في تفسيرها اي مصاحبة الشيطان له ذلك بارتكاب المعاصي [٢] .

٢ – المساواة :

قال تعالى ((وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)) [٣] .

ان عبارة "وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا" تدل انه محال أن تستطيعوا العدل و التسوية حتى لا يقع ميل البتة اي لا زيادة لا نقصان فيما بينهن ، فرفع بذلك عنكم تمام العدل و غايته، و ما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم و طاقتكم في المساواة فيما بينهن [٤]. والعدل بين النساء على نوعين: عدل مقدور كالمساواة في الإنفاق، و طيب الحديث. وعدل غير مقدور كالمحبة و ميل القلب وكذلك الجماع

---

[١] النساء :٣٨ .

[٢] ظ : الطبري، جامع البيان ، ٧ / ٢٧ .

[٣] النساء :١٢٩ .

[٤] ظ : الزمخشري ، الكشاف ، ١ / ٥٧٢ .

فقد ينشط الرجل للواحدة ولاينشط للأثنتين [١]. وهنا اشار القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة الى لفظ المساواة كما ورد في بيان وتفسير الآية .

٣- المقايسة :

قال تعالى((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)) [٢]. من الأمور الجديرة بالاهتمام و المستفادة من المقايسة بين هاتين الآيتين هو عموم الرحمة الإلهية و سبق رحمته على غضبه، لأنّ في الآية الأولى ذكرت عقوبة الكفار مبدوءة بكلمة "سوف" في حين بدأ الوعد الإلهي للمؤمنين بالسين "سندخلهم" و من المعلوم استعمال سوف في اللغة العربية في المستقبل البعيد، و استعمال السين في المستقبل القريب [٣]. وهنا اشار القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة الى لفظ المقايسة كما جاء في التفسير .

٤- المقابلة :

قال تعالى ((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا)) [٤].

ذكر الطباطبائي التكفير من الكفر و هو الستر و قد شاع استعماله في القرآن في العفو عن السيئات و الكبائر جمع كبيرة وصف وضع موضع الموصوف كالمعاصي و نحوها، و الكبر معنى إضافي لا يتحقق إلّا بالقياس الى صغر، و من هنا كان المستفاد من قوله:(كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ)أن هناك من المعاصي المنهي عنها ما هي صغيرة، فيتبين من الآية: اولا: أن المعاصي قسمان: صغيرة و كبيرة، و ثانيا: أن السيئات هي الصغائر لما فيها من دلالة المقابلة [٥] .

---

[١] ظ : محمد جواد مغنية ،الكشاف ، ٢ /٤٥٣ .

[٢] النساء: ٥٦- ٥٧ .

[٣] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل ، ٣ /٧٧ .

[٤] النساء : ٣١ .

[٥] ظ: الميزان ، ١ / ٦٦٢ .

وورد في قوله تعالى((وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ)) [١]. فسر ابن عاشور(انه للمقابلة و زيادة الغيظ للكافرين)[٢]. وذكر الخطيب أي مقابلة العذاب الذي يلقاه الكافرون، تقوم الجنّة التي ينعم بها المؤمنون، بما أعد الله لهم، من نعيم مقيم، لا ينفد أبدا[٣].

٥ – الموازنة :

قال تعالى ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ))[٤].

نلحظ من قراءة النص موازنة و مقارنة بين أهداف المخلصين(الَّذِينَ آمَنُوا) و أهداف الخائنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) من القتال، فالأولون يجاهدون لإحقاق الحق و إقامة العدل، و أما الخائنون فيقاتلون لإحياء الباطل و رساخة الظلم و إشاعة الفساد في الأرض [٥].

وخلاصة القول ان الالفاظ ذات الصلة جاءت بمعانٍ عدة في مضامين سورة النساء منها المقابلة والمساواة والمصاحبة والمقايسة والموازنة والتي تشير الى المقارنة بصورة جلية لتصحيح نمط الانسان السلبي نحو نمط ايجابي والغاية منها رضا الله سبحانه وتعالى .

---

[١] النساء : ٥٧ .

[٢] التحرير والتنوير ، ٦/ ١٥٩.

[٣] عبدالكريم الخطيب،التفسير القرآنى للقرآن ، ٣ / ٨١٨ .

[٤] النساء: ٧٦ .

[٥] محمد جواد مغنية ، التفسير المبين ، ١ / ١١٣ .

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالمقارنة

تبين من أستقرائي لمفهوم المقارنة عند اصحاب المعاجم وفي الموسوعات وفي الموسوعات الاصطلاحية أن هناك ألفاظاً لها علاقة بأصل مفهوم الدراسة ومن الألفاظ التي لها صلة في معنى المقارنة واشارت في مضامينها الى المقارنة منها :

اولاً : الموازنة :

١ – الموازنة : لغةً :

(وَزَنَ الشَّيْءَ إذا قدَّره ،ووازَنْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مُوَازَنَةً ووِزاناً) [١] ، ووزنت الشيء معناه وزنا وزنة [٢]. وازن بَين الشَّيْئَيْنِ موازنة ووزانا سَاوَى وعادل ، وَالشَّيْء بالشَّيْء ساواه فِي الْوَزْن وعادله وقابله ، ووزنة رجح الشَّيْء، قدره بوساطة الْمِيزَان وَرَفعه بِيَدِهِ ليعرف ثقله وَخِفته [٣]. توازن الشيئان :اتّزنا، تساويا في الوزن [٤] . وَقَامَ ميزَان النَّهَار :إذا انتَصَف. وَقَامَ قَائِم الظَهيرة [٥] .

٢ – الموازنة اصطلاحاً:

الموازنة في البلاغة هي أن تتساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية ((وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)) [٦] فإن المصفوفة والمبثوثة متساويان في الوزن دون التقفية، ولا عبرة بالتاء؛ لأنها زائدة [٧] . والموازنة من المحسنات اللفظية البديعية وَهِي تَسَاوِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ من الفقرتين[٨] .

---

[١] ابن منظور: لسان العرب ، ١٣ / ٤٤٧ .

[٢] ظ: الجوهري ، الصحاح ، ٦ / ٢١٣ .

[٣] ظ: أبراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط ، ٢ / ١٠٢٢٩

[٤] ظ : أحمد مختار، عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٣ /٤٣٢ .

[٥] الأزهري ، تهذيب اللغة ، ٩ / ٢٧٠ .

[٦] الغاشية : ١٥ – ١٦.

[٧] الجرجاني ، التعريفات ، ٢٣٧ .

[٨] نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء ، ٣ / ٢٦٦ .

كقوله تَعَالَى((ونمارق مصفوفة)) [١] ، دلالة اللفظة في النص (جمع نمرقة و هي الوسادة و كونها مصفوفة وضعها في المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض) [٢] ،و الموازَنَةِ تَقَارَضَ الشاعران: إذا وازن كل واحد منهما صاحبه [٣] .

ومما عرضه البحث من تعريفات اصطلاحية يمكن القول ان الموازنة يراد بها التعادل و التساوي والمناصفة والمقابلة .

ثانياً : المقابلة :

١ – المقابلة لغةً :

قال الفراهيدي :(والقِبَل :الطاقة ، تقول :لا قِبَل لهم هو الاتقاء، تقول :لقيته قِبَلاً أي مواجهة) [٤] .

.

وقال ابن فارس (قَبَلَ القَافُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ تَدُلُّ كَلِمُهُ كُلُّهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وَيَتَفَرَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ) [٥] . (وقَابَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ مُقَابَلةً وقِبالًا ... إذا ضَمَمْتَ شَيْئًا إلى شَيْءٍ قلتَ قابَلْتُه بِهِ)[٦] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَهل الْجَنَّةِ :((إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ)[٧]. أي يواجه فيها بعضهم البعض [٨]. وقال الفيروزآبادى : (وأَقْبَلْتُه الشيء :جَعَلْتُه يَلي قُبالَتَه ، وقابَلَهُ :

---

[١] الغاشية : ١٥.

[٢] الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن ،٢٠ / ٢٧٤ .

[٣] البعلي ، المطلع على ألفاظ المقنع ، ٣١٣.

[٤] العين ، ٥ / ١٦٦ .

[٥] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٥ / ٥١ .

[٦] ابن منظور، لسان العرب ، ١١/ ٥٤٠ .

[٧] الحجر: ٤٧ .

[٨] ظ : عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ٩٨٠ .

واجَهَه)[١]. (ولقيته قبلاً وقبلاً و قبلاً :مواجهة وعياناً) [٢]. والمقابلة هي (أن يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب)[٣].

قال تعالى ((فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا))[٤] .

٢ – المقابلة اصطلاحاً:

وَهِيَ أَنْ يُذْكَرَ لَفْظَانِ فَأَكْثَرُ ثُمَّ أضدادها عَلَى التَّرْتِيبِ [٥]، وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما [٦] . المتقابلان :هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة [٧] .

ومن هنا يتضح ان لمفردة المقابلة معان متعددة اذ يراد بها المواجهة أو المعارضة أو الجمع .

ثالثاً :المفارقة :

١– المفارقة لغةً :

(الفَرْقُ: خِلَافُ الْجَمْعِ وفارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقاً :بايَنَهُ) [٨]، (فَرَقْتُ بين الشيئين أَفْرُقُ فَرْقاً وفُرْقاناً) [٩] . (والفِرْقُ، والفَرِيقُ :الطائِفَةُ من الشيءِ المتفرّق.) [١٠]، (والفُرْقانُ :كل كتاب أنزل به فَرْقُ الله بين الحق والباطل) [١١] .(المفارقة والفراق: المزايلة) [١]. قال تعالى ((هذا فراق بيني وبينك)) [٢]. وتفسير وتفسير الآية اي فراق بينهما [٣].

---

(١) القاموس المحيط ١٠٤٦ .
(٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ٢ / ٤٩ .
(٣) أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ،٣ / ١٧٧٢ .
(٤) التوبة : ٨٢ .
(٥) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ٣ / ٣٢٧ .
(٦) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٤ / ٤٢٤ .
(٧) الجرجاني ، التعريفات،١٩٨ .
(٨) ابن منظور، لسان العرب ، ١٠ / ٢٩٩ .
(٩) الجوهري ، الصحاح في اللغة والعلوم ،٣٨٨٦
(١٠) مرتضى الزبيدي ، تاج العروس، ٢٦ / ٢٩٠ .
(١١) الفراهيدي، كتاب العين ٥ / ١٤٩ .

٢- المفارقة اصطلاحاً:

نوع من التضاد بين المعنى المباشر المنطوق والمعنى غير المباشر[٤] . وعرفت انها رفض للمعنى الحرفي للكلام لصالح المعنى الآخر او الضد الذي لم يعبر عنه [٥] .

والمفارقة عند أهل الأدب (تكتيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض)[٦] .

ومما تقدم آنفا من تعريفات اصطلاحية ولغوية يتبين أن المفارقة يراد بها التباين و بين الاختلاف والتناقض والتضاد .

رابعاً: المصاحبة :

١ – المصاحبة لغةً :

قال ابن فارس (الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ ،وَكُلُّ شَيْءٍ لائم شَيْئًاأَسْتَصْحَبَهُ.) [٧]،وأَصْحَبْتُه الشَّيْءَ :جَعَلْتُهُ لَهُ صَاحِبًا [٨].(صَاحبه مصاحبة وصحابا رافقه ...استصحب الشَّيْء لَازمه) [٩]. ويتضح من التعريفات اللغوية ان المصاحبة يراد بها الملازمة أو المقارنة .

---

[١] نشوان الحميري ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ٨ / ١٧٢.

[٢] الكهف : ٧٨ .

[٣] ظ :الزمخشري: الكشاف ٢ / ٧٤٠ .

[٤] ظ :محمد العبد ، المفارقة القرآنية ، ١٥ .

[٥] م– ن. ٢٠٢ .

[٦] علي عشري زايد، عن بناء القصيدة ، ١٣٠ .

[٧] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٣ / ٣٣٦ .

[٨] ظ : ابن منظور، لسان العرب ، ١/ ٥٢١ .

[٩] نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ،المعجم الوسيط ، ١ / ٥٠٧ .

المصاحبة اصطلاحاً: (الموافقة والمشاركة في الشيء) [١] ، قال تعالى ((وَأَنه تَعَالَى جد رَبنَا مَا اتخذ صَاحِبَة وَلَا ولدا)) [٢]،وجاء في التفسير (صاحبةأي زوجة) [٣] .

ومن جهة الملازمة والمصاحبة ذكر الكناني في قوله (وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس [٤] .

خامساً: المساواة .

١ – المساواة لغةً :قال ابن منظور (سَاوَى الشيءُ ا لشيءَ إِذَا عادَلَه) [٥] . (وَكُلُّ شَيْءٍ سَاوَى شَيْئًا حَتَّى صَارَ مِثْلَهُ)[٦] . (سوى الشَّيْء قومه وعدله والشيء بالشيء ساواه به وجعله يماثله) [٧]. قال قال تعالى :((الَّذِي خلقك فسواك فعدلك)) [٨] ،أي جعلك سويا [٩] .

المساواة اصطلاحاً :

هو إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يزيد عنه ولا ينقص [١٠] . فالمساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعض على بعض [١١] .

من هنا نلحظ من خلال التعريفات الأصطلاحية ان المساواة يراد بها المماثلة ، فضلا عن المساواة نفسها .

---

[١] زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعاريف ،٣٠٧ .
[٢] الجن : ٣ .
[٣] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٧٢٧ .
[٤] الكناني ، عمرو بن بحر بن محبوب ،البيان ١ / ٤٢ .
[٥] لسان العرب، ١٤ / ٤١٠
[٦]الفيومي ،ا لمصباح المنير ، ٢ / ٥٣٧ .
[٧]نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط ، ١/ ٤٦٦.
[٨] الانفطار :٧ .
[٩] الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ٧١٦ .
[١٠] عبد الله الخفاجي ، سر الفصاحة ،٢١٧ .
[١١] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ٣ /١٨٠ .

سادساً : المقايسة .

١ – المقايسة لغةً :

قال ابن فارس: (الْقِيَاسُ، وَهُوَ تَقْدِيرُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، تَقُولُ : قَايَسْتُ الْأَمْرَيْنِ مُقَايَسَةً وَقِيَاسًا) [١] . قست الشيء بالشيء : قدرته على مثاله [٢] . المقايسة قِسْتُهُ عَلَى الشَّيْءِ وَبِهِ أَقِيسُهُ [٣] .

٢ – المقايسة في الاصطلاح :

وَالْقِيَاس في الشَّرْعِ (هُوَ مَا يجْرِي فِي أَحْكَام لَا نَص فِيهَا) [٤] . قال تعالى ((فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل)) [٥].أي محسوبا في جنب الآخرة [٦] .

ومن خلال ما عرض من تعريفات يظهر ان المقايسة يراد بها عدة معان منها المقايسة والمماثلة

ومن خلال ماورد من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للألفاظ ذات الصلة بالمقارنة تبين للبحث ان المقارنة لها العديد من المعاني والتي أشارت اليهاويراد بها المقارنة بين الموضوعات المركزية والفرعية .

---

[١] معجم مقاييس اللغة ، ٥ / ٤٠ .

[٢]الجوهري ا لصحاح ، ٣ / ٩٦٨ .

[٣]) الفيومي، المصباح المنير ،٢ / ٥٢١ .

[٤]الكفوي ، الكليات ، ٧١٤ .

[٥]التوبة : ٣٨ .

[٦]محيي الدين درويش، إعراب القرآن و بيانه ٤ / ١٠٠.

المبحث الثالث

شواهد المقارنة في القرآن واساليبها .

اولاً : شواهد تطبيقية :

لقد وردت المقارنة في ثناياها الكثير من الآيات القرآنية تبين أن لها مقاصد واهداف واغراض متعددة باستعمالات القرآن الكريم واساليب عديدة لأثبات الحقائق الكثيرة والتي هدفها ترسيخ مقاصد الخطاب الوارد في القرآن الكريم في عقول الناس ومن هذه الاساليب :

١ – الترغيب بالجنة والترهيب من النار قال الشاطبي (إِذَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ التَّرْغِيبُ قَارَنَهُ التَّرْهِيبُ فِي لَوَاحِقِهِ أَوْ سَوَابِقِهِ أَوْ قَرَائِنِهِ وَبِالْعَكْسِ، وَكَذَلِكَ التَّرْجِيَةُ* مَعَ التَّخْوِيفِ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى مِثْلُهُ، وَمِنْهُ ذِكْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُقَارِنُهُ ذِكْرُ أَهْلِ النَّارِ، وَبِالْعَكْسِ؛ لِأَنَّ فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَعْمَالِهِمْ تَرْجِيَةٌ، وَفِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ تَخْوِيفًا فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى التَّرْجِيَةِ وَالتَّخْوِيفِ)[١]. ويظهر اسلوب الترغيب لأهل الجنة والترهيب لأهل النار مصحوبًا باسلوب شائق للجنة ونعيمها أو بأسلوب فيه تخويف وترهيب من النار وعذابها[٢]،ومن الشواهد على المقارنة في الآيات الواردة في القرآن الكريم الآية التي قارنت بين حال أهل الجنة وبين أهل النار قال تعالى ((يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۞ وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَ جاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ۞ ادْخُلُوها بِسَلامٍ ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ۞ وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ۞ إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ)) [٣] .

---

* رَجَوْتُهُ أَرْجُوهُ رُجُوًّا عَلَى فُعُولٍ أَمَّلْتُهُ ،الفيومي ، المصباح المنير، ١ / ٢٢١.

[١] الشاطبي، الموافقات ، ٤ /١٦٧ .

[٢] ظ: ابراهيم بن عرفة طنطاوي، عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٧٨، رجب ١٤٤٣ هـ ، ١٤٣٦ هـ ،٢٣.

[٣] ق :٣١ – ٣٧ .

ذكر الطوسي :(ان ما أعده الله تعالى للكافرين والعصاة من جهنم وعظم موضعها وسعتها أخبر الله عما أعده للمتقين المتجنبين لمعاصيه الفاعلين لطاعاته ، فقال عز وجل (وأزلفت الجنة للمتقين) والازلاف التقريب إلى الخير)[١].

فالآيات القرآنية الكريمة بينت حال الكفار المعاندين انهم في نار جهنم والعذاب الذي يلاقونه مقارنة بمشهد آخر، وهو دخول المتقين الجنة بمنتهى التكريم والتجلة وإشارة إلى أنواع النعم في الجنة ، اذ إن هذه الآيات تبين صفات أهل الجنة لتتضح الحقائق أكثر بهذه المقارنة ما بين أهل النار وأهل الجنة [٢] ،واستعمل القرآن الكريم منهج الترغيب الى الجنة والترهيب من النار فكان احد الاساليب في القرآن على المقارنة .

٢- **تقسيم الناس :** وفي موضوعات أخرى عقد القرآن الكريم المقارنة بين المؤمنين والكفار، والأتقياء والفجار، والمصلحين والمفسدين، لينبّه العباد ويحذرهم، ويرغب الناس بالإيمان والصلاح، وينفرهم من الكفر والفساد. قال الله تعالى ((لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [٣].

وفي هذه الآية المباركة نلحظ (المقارنة لجماعة من أهل الكتاب من الذين يطيعون الله وبين الذين كفروا. ومعنى ذلك أن أهل الكتاب ليسوا متساوين في الايمان ، فمنهم أمة مستقيمة يطيعون الله ،و يتلون آيات الله، ويقرؤون القرآن في ساعات الليل، ويصلون والناس نيام، ويناجون ربهم وغيرهم غافلون، وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانا صادقا خالصا، ويخشون الله، ويرجون ثوابه وتجارة لن تبور، فهؤلاء

---

[١] التبيان ، ٣/ ٣٧٠ .

[٢] ظ: ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ١٧/ ٤٩ .

[٣] آل عمران : ١١٣ – ١١٥.

مؤمنون حقا والكفار: هم كل من لم يؤمن بالله ربا واحدا لا شريك له، ولا ندّ له ولا نظير، وليس له والد ولا ولد، ولا يشبهه أحد من خلقه، وقد ردّ الله على هؤلاء الكفار جميعا مبينا جزاءهم في الآخرة قال تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))[١] [٢].

وفي موضع اخر ورد في القرآن الكريم الاية المباركة وقارنت بين المنكرين لآيات الله وبين المؤمنين الراسخين في الايمان قال تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ))[٣] . يعتمد القرآن الكريم في أسلوبه وضع الصور المتقابلة و المتعارضة للحالات التي يتناولها كي يوضحها بشكل جيد من خلال المقارنة والمقايسة بين المنكرين المعاندين الذين يصدون عن آيات االقرآن وبيان جزائهم وعقوبتهم ، وبين المؤمنين الراسخين في إيمانهم [٤]. وأشار الطباطبائي ما ورد من تفاسير متعددة فيما يخص بيان حسن حال المؤمنين كما كانت الآيات التي قبلها بينت سوء حال الكافرين [٥] .

٣ – **تحفيز** : ومن المواضيع التربوية في القرآن الكريم ذات المقارنة بين الاعمال الصالحة والاعمال القبيحة والمقارنة بين المحسنين و بين العاصين كما في قوله تعالى ((أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ))[٦] : وقوله تعالى (آناءَ اللَّيْلِ) أي ساعات الليل وقوله سبحانه (ساجِداً وَ

---

[١] آل عمران: ١١٦– ١١٧.

[٢] ظ : وهبه الزحيلي ، التفسير الوسيط ، ١ / ٢٣٠ .

[٣] فصلت : ٣٠ .

[٤] ظ: ناصر مكارم الشيرازي ،الأمثل ، ١٥ / ٣٩٦

[٥] ظ :الطباطبائي ، مختصر الميزان ، ٥ / ٥١٣ .

[٦] الزمر :٩ .

قائِماً) ساجدا في الصلاة و يقوم مرة أخرى (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أي عذاب الآخرة (وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) أي يتردد بين الخوف و الرجاء أي ليسا سواء و هو قوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) أي لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب و العقاب و الذين ليس لهم علم (إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ)

أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال (نحن الذين يعلمون و عدونا الذين لا يعلمون و شيعتنا أولو الألباب) [١][٢].

يتبين مما سبق ان القران الكريم قارن بين فئتين من خلقه بين الشاكرين وبين الكافرين وهذه مقارنة صريحة من القرآن الكريم بنفي المساواة بينهم وبيان فضيلة الشاكرين على الكفار وان الله سبحانه وتعالى يجازي المومنين بافضل واعلى درجات الجزاء.

وقد ذكر ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية أن القرآن أستعمل فيها أسلوب المقارنة، هذاالأسلوب الذي طالما استعمله القرآن المجيد لإفهام الآخرين القضايا المختلفة، حيث تقول: هل أن مثل هذا الشخص انسان لائق و ذو قيمه قال تعالى ((أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ))[٣] ،(وأين ذلك الإنسان المشرك و الغافل و المتلون و الضالّ و المضلّ من هذا الإنسان ذي القلب اليقظ الطاهر الساطع بالنور، الذي يسجد ويعبد لله في جوف الليل و الناس نيام، و يدعو ربّه خائفا راجيا فهؤلاء في حال النعمة لا يدعون أنفسهم في مأمن من العقاب و العذاب، و في حال البلاء لاييأسون من رحمته، و هذان العاملان يرافقان وجودهم أثناء حركتهم المستمرة بحذر واحتياط نحو ربهم و معشوقهم) [٤] .

---

[١] الكافي ، الكليني ، ١ / ٢١٢ .

[٢] الطبرسي ، مجمع البيان ، ٨ / ٧٦٧ .

[٣] الزمر : ٩ .

[٤] الامثل ، ٣٣/١٥ .

٤ – **ضرب المثل** : وفي موضع آخر أستعمل القرآن الكريم المقارنة بين الترغيب والاثابة في الجنة وبين الوعيد والترهيب من النار، وهي من الاساليب التربوية التي أستخدمها في آياته المباركة اذ جاءت الكثيرمنها في هذا المجال باستعمال ضرب المثل قال تعالى ((مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ)) [١] .

فعندما ذكر الله سبحانه عقاب الكافرين ذكر ثواب المتقين، كما هو شأنه تعالى في المقارنة في الضدين او المتشابهين، و ثواب المتقين الجنة ونعيمها الدائم أنهارا و ثمارا و ظلالا (تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا) تلك إشارة الى الجنة و العقبى المنقلب و المصير، و المتقون هم الذين يناصرون الحق و أهله، ضد الباطل ، و في بعض الأخبار: ان الايمان فوق الإسلام، و التقوى فوق الايمان، و اليقين فوق التقوى و المراد باليقين الثقة بالله، و التوكل عليه.ثم مصيرالكافرين ((وَ عُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ)) [٢].

وهذه احد الأساليب الصريحة للقرآن الكريم والتي بين فيها ثواب المتقين مقارنة بمصير الكافرين .

كما وردت في هذه الآيات الكريمة الوصف المقارن بين الاعمال القبيحة للمنافقين وبين أعمال المؤمنين الحقيقيين الحسنة والصادقة قال تعالى((واذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ)) [٣].

فقد تحدثت الآيه الأولى عن حال المنافقين عندما دعى الرّسول محمد (ﷺ) الناس إلى الجهاد في سبيل الله والثبات على الايمان لكن المنافقين أعتذروا عن الجهاد على الرغم من قدرتهم المالية ثم جاءت الاية التي تليها وبينت بأن هؤلاء و نتيجة لكثرة ذنوبهم و نفاقهم و صلوا إلى مرحلة (طُبِعَ عَلى

---

[١] الرعد :٣٥ .

[٢] ظ: محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف ، ٤/ ٤١٢ .

[٣] التوبة : ٨٦ –٨٩ .

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) ثمّ تحدثت الآية التي تلتها في الجانب المقابل عن صفات و روحية الفئة التي تقابل المنافقين، و هم المؤمنون المخلصون، و عن أعمالهم الحسنة. [١].

٥ – **تحديد العاقبة** : اذ بينت الاية المباركة في موردها المقارنة بين (المؤمنون الذين خلصت قلوبهم حقا من عمل النفاق بدليل المقابلة مع المنافقين ليمدحهم بالجهاد بالمال والنفس أي إنهم لم يرضوا بالقعود ولم يختم على قلوبهم بالنفاق وعدم الأيمان ، بل نالوا سعادة الحياة الدنيا و االنور الإلهي الذي يهتدون به في طريقهم لارضائه سبحانه وتعالى عن صفات الفئة التي تقابل صفات المنافقين، بأنهم نتيجة لكثرة ذنوبهم و نفاقهم و صلوا إلى مرحلة طبع الله على قلوبهم بالتكذيب وعدم الأيمان ((طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُون)) [٢].

وفي مورد آخر قارن القرآن الكريم بين المؤمن وبين الكافر [٣] .

كما في قوله تعالى ((ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ)) [٤]. حيث قارنت الآية المباركة (بين الإيمان الذي هو نور ربّانيّ يقذفه الله في قلب المؤمن بحسب ما قدر الله وقضاه، وبين ما يقابله من ظلمة الكفر والجهالة، لكن لكلّ من الطرفين مراتبُ تَفاوَت الاكتمال والقصور، والشدّة والضعف والثبور، فالكاملون في النور والهدى من الله تعالى هم الأنبياء، ثمّ الأمناء، ثمّ الأمثل فالأمثل، والبالغون في ظلمة الكفر والبُعد عن رحمته تعالى هم الفراعنة والطغاة والدجالين ، ثمّ أئمّة الضلال ورؤساء الكَفَرة والمنافقين، وما يشاكلهم) [٥].

وهي مقارنة صريحة بين النعمة التي أنعم الله على المؤمنين من الهداية وجعله سبحانه وتعالى

---

[١] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل ، ٦ / ١٥٦ .

[٢] ظ: الطباطبائي ، الميزان في ،٩ /٣٦١ .

[٣] آل عمران : ١٦٢ .، فاطر : ٨ .، ص : ٢٨ .

[٤] الأنعام :٨٨ .

[٥] العاملي ،حاشية اصول الكافي ، ١ / ٥٥-٥٦.

نور الايمان في قلوبهم وبين المنافقين الذين طبع على قلوبهم ومَعْنى" طَبَعَ " كما جاء في باب العين والطاء مع الباء: غَطّى على قُلُوبهم [١] .

وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تقارن بين عمل الخير وعمل الشر [٢] .

وان الانسان يثاب ويعاقب على هذا العمل ومن هذه المقارنات في هذا المجال فيما يتعلق بعمل الخير وفيما يتعلق بعمل الشر ما يتمثل بالضرر ما يتمثل بالمنافع والبركات والنعم التي انعم الله بها على الانسان وكل ما فيه من النقم وغيرها من الأعمال القبيحة فالخير مصاحب للأيمان والنعيم لكن الشر مايدل على الكفر والمعصية قال تعالى((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ)) [٣] .

٦ – **الترغيب:** وفي بيان قوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ "يقول: فمن عمل في الدنيا مقدار ذرة من خير يرى ثوابه في الأخرة وقوله سبحانه (وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) و من كان عمل في الدنيا مقدار ذرة من شر يرى جزاءه في الآخرة [٤] .

وفي بيان أسباب نزول الآية قال الواحدي انها (نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِيهِ السَّائِلُ فَيَسْتَقِلُّ أَنْ يُعْطِيَهُ التَّمْرَةَ وَالْكِسْرَةَ وَالْجَوْزَةَ، وَيَقُولَ :مَا هَذَا بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا نُؤْجَرُ عَلَى مَا نُعْطِي وَنَحْنُ نُحِبُّهُ .وَكَانَ الْآخَرُ يَتَهَاوَنُ بِالذَّنْبِ الْيَسِيرِ :كَالْكِذْبَةِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَيَقُولُ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا شَيْءٌ؟ إِنَّمَا أَوْعَدَ اللَّهُ بِالنَّارِ عَلَى الْكَبَائِرِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرَغِّبُهُمْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ. وَيُحَذِّرَهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الذَّنْبِ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يكثر) [٥] .

---

[١] ظ: الأزهري ، تهذيب اللغة ،١١٠/٢ .

[٢] الانبياء : ٣٥ . ، المعارج : ٢٠ – ٢٥ ، . الاسراء : ١١ .

[٣] الزلزلة : ٧ – ٨ .

[٤] ظ : الطبري، جامع البيان ، ٣٠ / ١٧٣ .

[٥] الواحدي النيسابوري ، أسباب نزول القرآن ، ٤٦٢.

من هنا يتبين أن القرآن عقد القول في الآية بجعل المقارنة بين مقدار عمل الخير و عمل الشر فمن يعمل خيرا سوف يرى عمله ولا ينقص بمقدار الذرة من الثواب ومن يعمل شرا سوف يرى مقدار العقاب الذي سيناله دون نقص ولو بمقدار الذرة .

وفي مثال آخر ورد في القرآن الكريم نلمس فيه المقارنة بين (البر والفجور) ونلحظ ان البر يتحقق بفعل الطاعة لله سبحانه وتعالى و تجتنب كل المعاصي ، اما الفجور فيتحقق بفعل الانسان المخالفة والابتعاد عن طاعة سبحانه وتعالى. قال تعال ((إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)) [١].

بين سيد قطب في تفسير الآية الكريمة ان البرّ هو الأتيان بأعمال البرّ حتى تصبح له عادة و صفة ملازمة. و أعمال البر هي كل خير على الإطلاق. و الصفة تتناسق في ظلها مع الكرم و الإنسانية. كما أن الصفة التي تقابلها الفجور فيها سوء الأدب و التوقح في مقارفة الإثم و المعصية، و الجحيم هي كفء للفجور [٢] .

وورد في القرآن مقارنات كثيرة منها المقارنة بين(الحسنة والسيئة)واسلوب معاملة المخالفين كما في الآية المباركة قال تعالى ((وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ))[٣] .

وقد بين الطوسي ان المراد في تفسير هذه الآية المباركة (لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ) أي لا يتماثلان، و دخلت (لا) في "وَ لَا السَّيِّئَةُ" تأكيداً ، وذكر ان معنى الحسنة هي المداراة ، و السيئة المراد بها الغلظة وقد أدب الله تعالى عباده بهذا الأدب ثم بين معنى قوله تعالى : (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ

---

[١] الانفطار : ١٣ – ١٤ .

[٢] ظ : في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٨٥١ .

[٣] فصلت : ٣٤ .

بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) المراد ان من أساء اليك فأحسن اليه ليعود من العداوه ليكون ولي لك [١] .

وذكر صاحب الأمثل أنّ "الحسنة و "السيئة" تنطويان على مفهومين واسعين، إذ تشمل الحسنة كلّ إحسان و جميل و خير و بركة، و السيئة تشمل كلّ انحراف و قبح و عذاب، إلّا أنّ الآية تقصد ذلك الجانب المحدّد من السيئة و الحسنة، الذي يختص بأساليب الدعوة، لكن بعض المفسّرين فسّر الحسنة بمعنى الإسلام و التوحيد، و السيئة بمعنى الشرك و الكفر[٢] .

وقد تبين مما سبق ان الآية بينت ان الحسنة كل شيء فيه الخير والبركة مقارنة بالسيئة التي تحمل الاعمال القبيحة .

وورد في القرآن الكريم المقارنة بين الإيمان وبين الاسلام لان الاسلام يكون مضمونه الشهادتين

اما الإيمان هو الانقياد من القلب قال تعالى((قالت الاعراب آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [٣]

ويظهر من مضمون النص منطق المقارنة بشكل واضح فتجد أنها تقارن بين الأيمان والاسلام

فالايمان الخضوع لكل ماجاء من الله سبحانه وتعالى من غير تردد ولجلجة في كل الاحداث والظروف ؛ أما الإسلام فهو الطاعة الظاهرة بأداء الواجبات و اجتناب المحظورات و لم يبلغ الايمان الصادق فكثير من الناس يدخلون في الاسلام نتيجة للخوف سابقاَ او الطمع ، والإيمان في القلب قوامه الإخلاص لله سبحانه و التصديق بكل ما أوحى سبحانه الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أعماق الضمير والاستجابة [٤]؛كالأعراب الذي جاء ذكرهم في هذه الأية المباركة:

---

[١] ظ : التبيان ٩ / ١٢٦ .

[٢] ناصر مكار الشيرازي ، الأمثل ، ١٥ / ٤٠٦ .

[٣] الحجرات : ١٤ .

[٤] ظ: محمد جواد مغنية ،الكاشف ، ٧/ ١٢٤ .

قال تعالى ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُون))[١] . (أي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان (...وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ...) في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيتان أتوا رسول الله ص يحلفون أنهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان) [٢] .

فهذه الآية توضح بشكل جلي أن المؤمنين يؤمنون بالله تعالى ورسوله ولا يرتابون البينة بأدنى شك بما نزل منه سبحانه على الرسول الأعظم (ﷺ) وتجدهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وهم صادقون بأيمانهم وما يقدمونه في سبيل الاسلام .

سبب نزول الآية :

وفي بيان سبب نزول الآية انه (ورد الى المدينة جماعة من " بني أسد " في بعض سنين الجدب والقحط وأظهروا الشهادتين على ألسنتهم أملا في الحصول على المساعدة من النبي(ﷺ) وقالوا له أن قبائل العرب ركبت الخيول وحاربتكم إلا أننا جئناك بأطفالنا ونسائنا دون أن نحاربك، وأرادوا أن يمنوا على النبي عن هذا الطريق فنزلت الآيتان آنفتا الذكر وكشفتا أن إسلامهم ظاهري ولم يتغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم، ثم إذا كانوا مؤمنين فما ينبغي عليهم أن يمنوا على الرسول (ﷺ) بالإيمان بل الله يمن عليهم أن هداهم للإيمان) [٣] ؛ ويرفدنا القرآن الكريم بشاهد آخر على غرار ما ذكر آنفا اذ يقارن الذين دخلوا الاسلام وبين الذين صدوا واصروا على كفرهم قال تعالى ((وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن

---

[١] الحجرات : ١٥ .

[٢] الطبرسي ، مجمع البيان ، ٩ / ٢٠٨ .

[٣] الواحدي النيسابوري ، اسباب النزول ، ٣٩٦.

فِي الْقُبُورِ)) [1] ، فالاعمى والبصير حالهم ومثلهم للكافرو المؤمن وكما مثل للصنم و الله عزّ و جلّ، والظلمات و النور مثلان للحق و الباطل، و ما يؤدّيان إليه من الثواب و العقاب. و الأحياء و الأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام و الذين لم يدخلوا في السلام [2].

و بين سيد قطب في تفسيره للآية (أن طبيعة الكفر و طبيعة كل من العمى و الظلمة و الحرور والموت صلة ، كما أن هناك صلة بين طبيعة الإيمان و طبيعة كل من النور و البصر و الظل و الحياة) [3].

ويبدو مما سبق أن الآيات الكريمة نفت المساواة بين الذين دخلو الاسلام وبين الذين يصرون على كفرهم فذكر الله سبحانه وتعالى طبيعة الايمان كالنور والحياة مقارنة بالكفر والعمى وجزاء كلً منهما.

ثانيا: اساليب الخطاب القرآني الدالة على المقارنة :

وردت في القرآن الكريم اساليب عديدة ومتنوعة استعملها القرآن في الدلالة على المقارنة بحسب مضامين الآيات ومن هذه الأساليب :

اولاً : التضاد : وعرف بانه الجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل [4].

ومنه / الطباق ، المقابلة .

١ – الطباق :

قال ابو هلال العسكري : (قد أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أوفي البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل

---

[1] فاطر : ٢٢– ١٩ .

[2] ظ: الزمخشري ، الكشاف ،٣ / ٦٠٨ .

[1] في ظلال القرآن ، ٥ / ٢٩٢٩.

[4] الجرجاني ، التعريفات ، ٦١ .

والنهار، والحرّ والبرد) [١]،والطباق عند البلاغيين هو (ذِكْرُ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ)[٢] ، كما في قوله تعالى ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء))[٣]، و تهديدهم بعذاب الدنيا و الآخرة و من العذاب ما سلب الله عنهم الملك و ضرب عليهم الذل والمسكنة إلى يوم القيامة فهو مالك الملك يملك من يشاء و يعز من يشاء و بالجملة هو المعطي للخير لمن يشاء و هو الآخذ النازع للملك و العزة و لكل خير عمن يشاء[٤] ، وهنا نجد أن الآية مقارنة بين اعطاء الملك لمن شاء الله وبين من يقلع ويخلع من الملك ممن شاء وايتاء العزة لمن شاء الله ونزعه ممن شاء [٥] .

٢ – **المقابلة** : وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده [٦] .

ومن النصوص القرآنية التي تحسب في مضمونها ما يدل على المقابلة قوله تعالى ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى))[٧] ،ذكر الزمخشري في بيان قوله تعالى ("فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى) اعْطى يعنى حقوق ماله وَ اتَّقى الله ولم يعصِ الله وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى بالخصلة الحسنى: و هي الإيمان. أو بالملة الحسنى: و هي ملة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى و هي الجنة فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى فسنهيؤه لها ، ويقابله قوله تعالى "وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى.فَسَنُيَسِّرُهُ

---

[١] الصناعتين ، ٣٠٧ .

[٢] محمد بن أيدمر المستعصمي ، الدر الفريد وبيت القصيد ١/ ١٦٧ .

[٣] آل عمران : ٢٦ .

[٤] ظ : الطباطبائي ، الميزان ،٣ / ١٢٨ .

[٥] ظ : وهبه الزحيلي، التفسير المنير ، ٣ / ١٩٢ .

[٦] ظ: السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٤٢٤ .

[٧] الليل : ٥ – ١٠ .

لِلْعُسْرى وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى " استتغنى زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة [١] .

ويبدو من مضمون الآية الكريمة انها قد قارنت بين الاعطاء من حقوق المال المصاحب للتقوى مع صدق النية وفي سبيل الله سوف تكون مثوبته الحسنى وبين من يبخل واستغنى في الدنيا عن ثواب الآخرة فسوف يحرم من التوفيقِ الالهيِ لان هؤلاء بخلاء فارغون من الايمان فحذرهم الله سبحانه وتعالى من هذه الاعمال .

ثانيا : الاستفهام او التوبيخ والتبكيت في القرآن الكريم :

عرف الاستفهام عند المعجميين بعدة تعريفات منها(أن الاستفهام من فَهِمْت الشَّيْءَ أي عَقَلْتُه وعرَفْته) [٢].وفي الاصطلاح (استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن) [٣]،والتَّوْبِيخُ :التَّهْدِيدُ والتأَنيب وَاللَّوْمُ؛ يُقَالُ :وبَّخت فُلَانًا بسوءِ فِعْلِهِ تَوْبِيخًا [٤] .

(استعمل القرآن الكريم اسلوب الاستفهام الانكاري التوبيخي للمقارنة بين المتقين وبين الغاوين كما في قوله تعالى ((وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فَكَبْكَبُو فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودَ ابليس أَجْمَعُونَ))[٥] ، فقد قارنت الآية الكريمة بين المتقين الذين يعبدون الله وان الجنة قريبة عليهم سوف يدخلونها وبين الغاوين الذين

---

[١] الكشاف ٤ /٧٦٢ .

[٢] ابن منظور، لسان العرب ، ١٢ /٤٥٩ .

[٣] الجرجاني، التعريفات ، ١٨ .

[٤] م – ن ، ٣ / ٦٦ .

[٥] الشعراء ٩٠ – ٩٤ .

يعبدون غير الله من الاصنام والاوثان لذا وبخهم بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم "هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ " بدفع العذاب عنكم يوم القيامة [١] .

وفي مثال أخر لاستعمال اسلوب الاستفهام الانكاري في القرآن الكريم قال تعالى ((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون))[٢] فقد (ساق الله الأدلة العديدة بصيغة الاستفهام الإنكاري القائم على إثارة الأسئلة المنبهة للعقل والقلب معًا ,لقوله تعالى بعد كل دليل" :أإله مع الله"، ولا نجد في الآيات جوابًا صريحًا وإنما نجد لفت النظر إلى أنهم قوم يعدلون ولا يعلمون ولا يتذكرون وهم مشركون وغير صادقين في دعواهم لله شريكًا، وهم مقرون بأن فاعل ذلك كله هو الله. هذا الأسلوب في زحزحة المشركين عن عقائدهم الفاسدة وعنادهم واستكبارهم وتشكيكهم بما هم مقيمون عليه لا يوجد في غير طريقة القرآن) [٣] ، وفي مثال آخر يرفدنا القرآن الكريم قال تعالى ((قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ)) [٤].

ذكر الشيخ الطوسي في بيان قوله تعالى ان هذا خطاب من الله تعالى الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يأمره بأن يقول لهؤلاء الكفار (مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ)أي من مدبرالسموات والارض ، ومن مصرفهما على بما فيهما من العجائب، فإنهم لا يمكنهم أن يدّعوا أنَّ مدبر السماوات و الأرض الأصنام

---

[١] ظ: الطبرسي، مجمع البيان ٧ / ٣٠٥ .

[٢] النمل : ٥٩ .

[٣] محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، ٣٥٠ .

[٤] الرعد ١٦ .

التي يعبدونها، فإذا لم يمكنهم ذلك، فقل لهم الله رب السماوات و الأرض و ما بينهما من أنواع الحيوان و النبات و الجماد "الله "تعالى، فإذا أقروا بذلك فقل لهم على وجه التبكيت لهم و التوبيخ لفعلهم [١] .

وذكر ابن عاشور ان الاستفهام هنا تقرير و توبيخ لئن هنا استفهام انكاري تسفيه لرأيهم بناء على الإقرار المسلّم. و فيه استدلال آخر على عدم أهلية أصنامهم للإهلية فإن اتخاذهم أولياء من دونه. و جملة لا يَمْلِكُونَ صفة

الأَوْلِياءَ، و المقصود منها تنبيه السامعين للنظر في تلك الصفة فإنهم إن تدبروا علموها و علموا أن من كانت تلك صفته فليس بأهل لأن يعبد. [٢] .

وذكرالطبرسي في بيان معنى الآيه الكريمة أي قُلْ يا محمد لهؤلاء الكفار مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أي من مدبرهما و مصرفهما على ما فيهما من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب و لا يمكنهم أن يقولوا الأصنام قُلْ أنت لهم رب السماوات و الأرض و ما بينهما من أنواع الحيوان و النباتات و الجماد اللَّهُ فإذا أقروا بذلك قُلْ لهم على وجه التبكيت و التوبيخ لفعلهم أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ توجهون عبادتكم إليهم فالصورة صورة الاستفهام و المراد به التقريع ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء «لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا [٣] .

ويبدو مما سبق بان القرآن الكريم منهج آخر في المقارنة بين الذين يتخذون من الله الهاً آخر من الاصنام التي لا تنفع يدعونه فلا يستطيع فعل أي شيء لهم ولا يدبرهم وبين الخالق العظيم خالق السموات والارض وما عليها بأسلوب التوبيخ لهم والتبكيت .

---

[١] ظ: التبيان ، ٦ / ٢٣٦ .

[٢] ظ: التحرير والتنوير ، ١٢ / ١٦٣ .

[٣] مجمع البيان ، ٤ / ٤٣٧ .

ثالثاً : أستعمال اسلوب التشبيه :

والتشبيه : بان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام [١] ،استعمل القرآن الكريم اسلوب التشبيه وقارن بين سعة الجنة مقارنة بسعة السماء والارض قال تعالى ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) [٢] .

الناظر في النصوص يجد أن الله سبحانه وتعالى وصف الجنة بعرضها وهو بمقدار السموات والأرض طولها تنبيها بذكر العرض على ما يليق بها من الطول. فلذلك قال تعالى :كَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ. [٣]. وذكر المراغي وسعة الجنة كسعة السموات و الأرض [٤] ،ويتجلى في الآية القرآنية المباركة مصداق مقارنة واضحا بين سعة الدنيا وسعة الآخرة حيث شبهت الجنة وهي دار الآخرة كسعة السماء والارض في الدنيا وهذه الجنة جزاء من الله للذين آمنوا وصدقوا بوحدانية الله سبحانه وتعالى وبرسله .

ورد في الخطاب الالهي الكثير من الآيات التي استعمل فيها اسلوب التشبيه والاستعارة للمقارنة بين الموضوعات الواردة للوصل الى حقيقة المراد الالهي من مضمون هذه الآيات الكريمة في قوله تعالى ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)) [٥] .

---

(١) محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، ٤٣ .

(٢) الحديد : ٢١ .

(٣) ظ: أحمد بن محمد الميبدي، كشف الأسرار و عدة الأبرار ، ٩ / ٤٩٧.

(٤) ظ: تفسيرالمراغي ، ٢٧ / ١٧٨ .

(٥) الجاثية : ٢١.

ذكر ابن كثير في تفسيره في معنى الآية أي ساء ما ظنوا بنا و بعدلنا أن يتساوى الفجار و الأبرار في الدار الآخرة و في هذه الدار [١].

ذكر محمد جواد مغنية في بيانه لمعنى الآية انه لايصح أن يكون المحسن و المسيء بمنزلة سواء عند الله و لا في نظرالعقلاء اذ أخذ علماء الكلام مضمون هذه الآية و ذكروا ان الله سبحانه وعد الطائع بالثواب، و توعد العاصي بالعقاب لان الله سبحانه وتعالى عادل ولاشك في ذلك [٢] .

قارنت الآية الكريمة بين المطعين لله سبحانه والذين آمنو به ووعدهم بالثواب جزاء لأعمالهم وبين الذين اقترفوا السيئات حيث نفت التشابه بينهم وبنفي المساواة بينهم.

رابعاً / المثل :

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات المباركة التي استعمل فيها أسلوب ضرب المثل الذي له الاثر الكبير في بيان وايضاح المعنى وترسيخه وايضاح صورته للسامع وقد عرف بعدة تعاريف منها :(الْمَثَلُ عِبَارَةٌ عَنْ قَوْلٍ فِي شَيْءٍ يُشْبِهُ قَوْلًا فِي شَيْءٍ آخَرَ بَيْنَهُمَا مُشَابَهَةٌ؛ لِيُبَيِّنَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ) [٣] . وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى الكثير مِنَ الْأَمْثَالِ فَقَالَ ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[٤].

قال تعالى ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ))[٥] .

---

[١] ظ: القرآن العظيم ، ٧ / ٢٤٦ .

[٢] ظ: تفسير الكاشف ، ٧ / ٢٦ .

[٣] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ٨ / ٦٥ .

[٤] الحشر : ٢١ .

[٥] النحل : ١١٢ .

بين الطبرسي في قوله تعالى "وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً" أي مثل قرية كانَتْ آمِنَةً ذات أمن وامان يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم "مُطْمَئِنَّةً" قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق"يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ" أي يحمل إليها الرزق الواسع من كل موضع و من كل بلد كما قال سبحانه:" يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ "فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ" فكفر أهل تلك القرية بأنعم الله و لم يؤدوا شكرها "فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ" أي فأخذهم الله بالجوع و الخوف بما صنعت ايديهم و سوءا فعالهم و سمي أثر الجوع و الخوف لباسا لأن أثر الجوع و الهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس و قيل لأنهم شملهم الجوع و الخوف كما يشمل اللباس و البدن [١].

وذكر الزمخشري "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً "أى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا و تولوا، فأنزل الله بهم نقمته. فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، و أن تكون في قرى الأوّلين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها مُطْمَئِنَّةً لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن، و الانزعاج و القلق مع الخوف [٢].

من هنا نلحظ ان الآية افرزت وجها من وجوه المقارنة بين من يشكر النعمة الالهية وبين عاقبة من يكفر بها حيث ضرب الله سبحانه وتعالى مثل القرية الآمنة والتي تعيش في امان وان رزقها يأتيها لكن حالها قد تبدل عند كفرانها بنعم الله سبحانه وتعالى فكانت عاقبة اهلها العذاب منه تعالى.

وخلاصة القول ان المقارنة لها عدة اساليب متنوعة استخدمها القرآن الكريم في الدلالة على المقارنة بين الموضوعات التي وردت فيه وبحسب مضامين النص القرآني الكريم .

---

[١] مجمع البيان ، ٦/ ٦٠٠.

[٢] الكشاف ، ٢ /٦٣٨ .

الفصل الأول

المقارنة في نطاق آيات العقيدة في سورة النساء

- المبحث الأول: المقارنة في آيات التوحيد
- المبحث الثاني: المقارنة في آيات النبوة
- المبحث الثالث: المقارنة في آيات الجهاد
- المبحث الرابع: المقارنة في التوبة المقبولة وعدمها
- المبحث الخامس: المقارنة بين الشفاعة الدافعة للضرر عن الناس وبين الشفاعة السيئة

الفصل الاول

المقارنة في نطاق ايات العقيدة في سورة النساء

توطئة :

ان للعقائد أثرها وتأثيرها على الانسان وتصحيح المعتقدات المنحرفة وهي من الأولويات للمسلم ، والعقيدة السليمة تقي العباد من كل الشبهات والمفاسد والشهوات الدنيوية المنحرفة ومن أوليات الدين الإيمان بالذات الإلهية واليوم الآخر والملائكة والرسل والأنبياء وقد عرف الله سبحانه وتعالى عن نفسه بارسال الأنبياء وتحميلهم تعاليمه اليهم وتعاليم السماء لكي يثبتوا علاقاتهم مع الله وعلاقة بعضهم مع البعض الآخر ولكي تستقيم الحياة المثالية مع بعضهم وتنظيم علاقاتهم فيما بينهم والايمان بكل ما جاء من السماء مكث النبي محمد(ﷺ) في مكة مدة طويلة ذلك من اجل دعوته الى ترسيخ الايمان بالنبوة وللرسالة المحمدية التي تدعو لعبادة الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ((وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)) [1] .

وقال تعالى ((رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِين)) [2] .

ومن موضوعات الآيات العقائدية ما يتعلق بالإيمان والعدل الإلهي والمعاد والتوبة والكفر والشرك والثواب والعقاب والوعظ والارشاد والموت والحياة قال تعالى ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدا)) [3] .

---

[1] البقرة : ٤ .

[2] آل عمران : ٥٣ .

[3] النساء : ١٣٦ .

المبحث الأول

المقارنة في آيات التوحيد

وردت تعريفات عدة لمصطلح التوحيد على صعيد الدلالة اللغوية والاصطلاحية فبينوا دلالاته كل حسب ادراكه لمضمونه .

المطلب الأول : التوحيد في اللغة والاصطلاح :

اولا / التوحيد لغة :

قال ابن فارس : (الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ. مِنْ ذَلِكَ الْوَحْدَةِ. وَهُوَ وَاحِدُ قَبِيلَتِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ)[١] .(أَحَدٌ ووَحَدٌ و وَحِدٌ و وَحْدٌ ووَحِيدٌ ومُتَوَحِّد أَي مُنْفَرِدٌ ٠٠٠ وَرَجُلٌ وحِيدٌ :لَا أَحَدَ مَعَهُ يُؤنِسُه ، وَقَدْ وَحِدَ يَوْحَدُ وَحادةً ووَحْدةً وَوَحْداً .وَتَقُولُ :بَقِيتُ وَحيداً فَريداً حَريداً بِمَعْنًى وَاحِدٍ) [٢].

وقال الشيباني الْوَاحِدُ (هُوَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأ، وَلَا يُثَنَّى، وَلَا يَقْبَل الانقِسام، وَلَا نَظيرَ لَهُ وَلَا مِثْل)[٣] .

وتوافق الزبيدي مع الشيباني في بيانه لدلالة مفهوم الواحد قال الوَاحِدُ (هُوَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يُثَنَّى وَلَا يَقْبَلُ الانْقِسَام، وَلَا نظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا يَجْمَعُ هاذَيْنِ الوَصْفَيْنِ إِلَاّ الله عَزَّ وَجَلَّ [٤]. قال الفراهيدي (التَّوْحِيدُ الإيمانُ بالله وحدَهُ لا شَريكَ له، واللهُ الواحدُ الأحَدُ ذو التَّوَحُّدِ والوَحْدانيّةِ)[٥] .

ثانيا/ التوحيد اصطلاحا :

وقال الجرجاني في التوحيد أنه : (تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان)[٦] .

---

[١] مقاييس اللغة ،٦ / ٩٠ .

[٢] ابن منظور، لسان العرب، ٣ / ٤٤٨ .

[٣] الشيباني،محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٥ / ١٥٩ .

[٤] الزَّبيدي ، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ،٩ / ٢٦٩ .

[٥] العين ، ٣ / ٢٨١ .

[١] التعريفات ، ٦٩ .

وَالله الأوحَدُ والمتوحِّدُ وَذُو الوَحدانِيَّةِ)[١] ، وعرفها الواحدي (هي حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه أنه واحد لا قسيم له في ذاته) [٢] . و قال تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) [٣]، و قال ابن عاشور أنه : (نفي مماثلة الأشياء لله تعالى) [٤] .

ويبدو للباحث ان المعجميين والمفسرين يتوافقون على ذات البيان الدلالي لمفهوم التوحيد

ومن خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية يتضح ان التوحيد جاء بمعنى الواحد ، المنفرد الذي لا يتجزء وان الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد لا شريك له، وردت العديد من الآيات القرآنية في الجانب التوحيدي في سورة النساء سوف يتم الوقوف عليها وبيانها .

المطلب الثاني / المقارنة بين المسلمين وغيرهم في في صفة الإيمان.

قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) [٥] أوضح الطوسي في صفة تحقيق الإيمان فى تفسيره قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ) معناه يجحدون بالله و رسله من اليهود و النصارى (وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ) [٦]

أي يكذبوا رسل الله عز وجل الذين أرسلهم إلى الناس و أوحى اليهم و يزعمون انهم كاذبون على الله و ذلك معنى إرادتهم التفريق بين الله و رسله(وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ) معناه أنهم يقولون نصدق هذا الرسول و نكذب هذا الرسول ، كما فعلت اليهود صدقوا موسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا عيسى و محمداًو كما فعلت النصارى صدقت عيسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا

---

[٢] المرسي بن سيده ،علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم ، ٣ / ٤٩١ .

[٢] الواحدي النيسابوري ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، ٣ /٤٥٢ .

[٣] الشورى :١١ .

[٤] التحرير و التنوير ، ٢٥ / ١١٧ .

[٥] النساء : ١٥٠ – ١٥٢ .

[٦] ظ : التبيان ، ٣/ ٣٧٤ .

محمداً (ﷺ) [١] وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا" بمعنى يريد المفرقون بين الله وبين رسله الزاعمون انهم يؤمنون ببعض الرسل و يكفرون ببعض أن يتخذوا بين قولهم: نؤمن ببعض، و نكفر ببعض سبيلا يعنى طريقاً إلى الضلالة والمعصية التي أحدثوها، و البدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه، ثم اخبر عن احوالهم فقال أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا أي هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، و تفريقهم بين الله وبين رسله هم الكافرون حقاً فاستيقنوا ذلك و لا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم فيه مقرون من الكتب و الرسل، فإنهم يكذبون في دعواهم هذه، لأنهم لو كانوا صادقين في ذلك، لصدقوا جميع رسل الله [٢] .

قال ابن كثير (يتوعد تبارك و تعالى الكافرين به و برسله، من اليهود و النصارى حيث فرقوا بين الله و رسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض بمجرد التشهي و العادة، و ما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى و العصبية، فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام، و النصارى آمنوا بالأنبياء و كفروا بخاتمهم و أشرفهم محمد(ﷺ)) [٣] .

وهناك طوائف اخرى تؤمن ببعض الرسل ولا تومن بالبعض الآخر كالسامرة لا يؤمنون بنبيّ بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، و المقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا، إنما هو عن غرض و هوى و عصبية، و لهذا قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بالله و رسله) فوسمهم بأنهم كفار بالله و رسله [٤] .

وذكر الشيخ الطبرسي في معنى قوله تعالى (وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا)أي طريقا إلى الضلالة التي أحدثوها و البدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس إليه ؛(أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا) أي هؤلاء الذين أخبرنا عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الرسل و يكفرون ببعض وهم الكافرون حقيقة ، فاستيقنوا ذلك و لا ترتابوا بدعوتهم أنهم يقرون و يعترفون بما زعموا أنهم مقرون به من الكتب و الرسل

---

[١] ظ : الطوسي ، التبيان ، ٣/ ٣٧٤ .

[٢] ظ: م – ن ، ٣ / ٣٧٤ .

[٣]القرآن العظيم ، ٢ / ٣٩٤ .

[٤] ظ : ابن كثير ، القرآن العظيم ، ٢ / ٤٣٩ .

فإنهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله سبحانه وتعالى [١] . ذكر الطباطبائي في تفسيره للآية المباركة هؤلاءهم من أهل الكتاب واليهود و النصارى فاليهود تؤمن بموسى و لاتومن بعيسى و محمد (ﷺ) وتكفر بهم ، و النصارى تؤمن بموسى و عيسى ولا تومن بمحمد (ﷺ)و هؤلاء على زعمهم لا يكفرون بالله و ببعض رسله، و إنما يكفرون ببعض الرسل، و قد أطلق الله عليهم أنهم كافرون بالله و رسله جميعا، و لذلك احتيج الى بيان المراد من إطلاق قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ) [٢]

و قوله تعالى (وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا) أي سبيلا يتوسط بين الإيمان بالله و رسله جميعا والكفر والمعصية بالله و رسله جميعا، و هو الايمان ببعض و الكفر ببعض، و لا سبيل الى الله إلا الايمان به و برسله جميعا فإن الرسول بما أنه رسول ليس له من نفسه شيء و لا له من الأمر شيء، فالإيمان به إيمان بالله و الكفر به كفر بالله محضا. فالكفر بالبعض و الإيمان بالبعض و بالله ليس إلا تفرقة بين الله و بين رسله [٣].

وأوضح سيد قطب أن القرآن يرفض الايمان ببعض الرسل ويقرر الايمان بالله وبرسله من ان يفرقوا بأحد من رسله والايمان يكون شاملا لما جاء به الاسلام وهو الدين الذي يرضى به الله سبحانه وتعالى من جميع خلقه لانه دين التوحيد [٤] . (وبين ناصر مكارم الشيرازي في معنى قوله تعالى (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ) بديهي أنّ الإيمان بجميع الأنبياء و الرسل لا يتنافى و مسألة تفضيل بعضهم على البعض الآخر، لأنّ مسألة التفاضل هذه ترتبط ارتباطا وثيقا بأهمية و عظم المسؤولية التي تحمّلها كل منهم، و طبيعي أنّ المسؤوليات المناطة بالأنبياء عليهم السّلام تتفاوت من حيث الأهمية و الخطورة بالنسبة لكل منهم، و قد ثبت هذا الأمر بالدليل القطعي و المهم هنا أن لا يحصل تمايز أو تفريق في الإيمان بالأنبياء و الإقرار بنبوّتهم) [٥].

---

[١] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ٢٠٣ .

[٢] ظ: الميزان ، ١ / ٧٩٣ .

[٣] ظ: م – ن ، ١ / ٧٩٤.

[٤] فى ظلال القرآن، ٦/ ٧٩٧ .

[٥] الأمثل ٣ / ٥١٤ .

قال تعالى ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [١] . وجاء في التفسير ان عليكم إن تصدِّقوا من اجتبيته من رُسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم "وتتقوا "ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم [٢] . وفي بيان قوله تعالى ((وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا)) قال الفخر الرازي (أي بين الإيمان بالكل و بين الكفر بالكل سبيلا أي واسطة، و هي الإيمان بالبعض دون البعض) [٣] .

وبين ابن عاشور في تفسيره المراد من الذين يكفرون بالله و رسله هنا هم اليهود و النصارى وفسر قوله تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا) إرادة حقيقية و السبيل يحتمل أن يراد به سبيل النجاة من المؤاخذة في الآخرة توهّما أنّ تلك حيلة تحقّق لهم السلامة على تقدير سلامة المؤمنين، أو سبيل التنصّل من الكفر ببعض الرسل، أو سبيلا بين دينين، و هذان الوجهان الأخيران يناسبان انتقالهم من الكفر الظاهر إلى النفاق، فكأنّهما تهيئة للنفاق[٤] .

وذكر القرطبي في بيان قوله تعالى (يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ)المقصود اليهود الذين آمنوا بموسى و كفروا بعيسى و محمد عليهم افضل الصلاة والسلام .وقوله تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا) أي يتخذون بين الايمان والجحد طريقا، أي دينا مبتدعا بين الإسلام و اليهودية[٥] .

ومن خلال ما سبق تبين للباحث ان الآيات الكريمة قارنت بين الكافرين من اليهود والنصارى وبين الفئة الثانية من المؤمنين بصفة الإيمان حيث بينت ان الكافرين من اليهود والنصارى لايؤمنون بكل الرسل بل بالبعض منهم ويكفرون بالبعض الآخر ويفرقون بين رسل رب العالمين وتبين حقيقة كفرهم بقوله تعالى (انهم هم الكافرين) مقارنة بالمؤمنين الذين لم يفرقوا بين الرسل والانبياء ولم يفرقوا بين احد منهم سوف يجازيهم الله سبحانه وتعالى باجر عظيم .

---

[١] آل عمران : ١٧٩ .

[٢] الطبري ، جامع البيان ،٧ / ٤٢٨ .

[٣] مفاتيح الغيب ، ١١ / ٢٥٥ .

[٤] ظ :التحرير و التنوير ، ٤ / ٢٩٦ .

[٥] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ٦ /٥ .

المطلب الثالث / المقارنة بين الإيمان والكفر .

قال تعالى ((يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)) [١].

ذكر الطبري في تفسيره للآية الكريمة أي (يا مشركي العرب، وسائر الكافرين (قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ) يعني: محمداً(ﷺ) قد جاءكم بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ يقول: بالإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا، يقول من ربكم: يعني من عند ربكم ،فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ يقول: فصدقوه و صدقوا بما جاءكم به من عند ربكم من الدين، فإن الإيمان بذلك خير لكم من الكفر به. "وَ إِنْ تَكْفُرُوا يقول: و إن تجحدوا رسالته، و تكذبوا به و بما جاءكم به من عند ربكم، فإن جحودكم ذلك و تكذيبكم به لن يضر غيركم، و إنما مكروه ذلك عائد عليكم دون الذي الله أمركم بالذي بعث به إليكم رسوله محمداً (ﷺ)و ذلك أن لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ملكا و خلقا، لا ينقص كفركم بما كفرتم به من أمره، و عصيانكم إياه فيما عصيتموه فيهمن سلطانه وملكة اي شيء) [٢].

فنجد ان الآيه أبتدأت (يا أَيُّهَا النَّاسُ ...) وهذا خطاب فيه قولان [٣] .

الأول : لجميع المكلفين .

والقول الآخر: خطاب للكفار(قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ) يعني محمد (ﷺ)

فَآمِنُوا أي صدقوا بما جاء به الرسول(ﷺ)، من عند ربكم "خَيْراً لَكُمْ"أي أتوا خيرا مما أنتم عليه من الجحود و التكذيب "وَ إِنْ تَكْفُرُوا" أي تكذبوه فيما جاءكم به من الله سبحانه وتعالى "فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" أي فإن وضع الضرر ذلك يعود عليكم وليس على الله فإنه سبحانه وتعالى يملك ما في السماوات و الأرض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئا من ملكه ومن سلطانه (...وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً) بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته وقوله سبحانه (... حَكِيماً) أي في أمره و نهيه إياكم و تدبيره فيكم و في غيركم[٤] .

---

[١] النساء : ١٧٠ .

[٢] الطبري ، جامع البيان ، ٦ / ٢٣ .

[٣] ظ : الطبرسي، مجمع البيان ، ٣ / ٢٢١ .

[٤]مجمع البيان ، ٣ / ٢٢١ .

تدعوالآية الكريمة إلى الإيمان و تبيّن نتيجة الإيمان، و تستعمل في ترغيب الناس إلى هذا الهدف النبيل والسامي ، وفيها عبارات و اصطلاحات تثير عند الأفراد الرغبة و الاندفاع نحو الإيمان و الآية تشير ايضا في البداية إلى أنّ النّبي المرسل هو ذلك الذي كان ينتظر الناس ظهوره، و الذي أشارت إليه الكتب السماوية السابقة، و هو يحمل إليهم شريعة الحق و العدالة [١]، اي ان الله قادر غني عنكم وغني عن عبادتكم، و لكنه سبحانه لا يوفر لكم الخير الا بعد اتباعكم لرسالته، لأنه حكيم و لأنه عالم ومطلع على أعمالكم، و يجازي على اعمالكم إن كان خيرا فخيرٌ و ان شرا فشرٌ [٢] .

وذكر ابو زهرة في بيان قوله تعالى : (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أي فهو غني عنكم و عن إيمانكم، و لا يتضرر بكفرانكم، كما قال تعالى ((وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)) [٣]. وفي بيان معنى قوله تعالى (فالإيذان بالزيادة فى الشكر و العذاب فى الكفر من الله) [٤] .

ثم بين قوله تعالى : (وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً) أي بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، و بمن يستحق الغواية فيغويه، وفي بيان قوله تعالى (حَكِيماً) أي في أقواله و أفعاله و شرعه و قدره [٥].

وخلاصة القول قارنت الآية الكريمة بين الايمان بدعوة الناس الى الايمان بإستعمال أسلوب الترغيب فيه من اصلاح للفرد والمجتمع وبما فيه من اهداف وثوابت سامية جاء بها الاسلام وبين الكفر بالله وعصيان امره فان الله غني عن العباد .

وفي موضع آخر من سورة النساء جاءت الآية الكريمة التي تأمر بالإيمان وتحذر من الكفر قال تعالى ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً))[٦] .

---

[١] ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل ، ٣٤٥ .

[٢] ظ: محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن ،٢ / ٢٦٠.

[٣]أبراهيم : ٨ .

[٤]أبوزهرة، زهرة التفاسير ، ٨ / ٣٩٩٥ .

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٤٢٤ .

[٦] النساء : ١٣٦ .

نجد الآية الكريمة تدعوا الى الإيمان مقارنة بالكفر ومصير الكافرين الذين لم يؤمنوا بالله ورسله وانبيائه وملائكتة ونبين هنا تفسير الآية الكريمة من خلال آراء المفسرين .

وهنا يطرح الطبري سؤالاً هو ما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان بالله و رسوله و كتبه و قد سماهم مؤمنين؟ ويجيب عليه إنه جل ثناؤه لم يسمهم مؤمنين، و إنما وصفهم بأنهم آمنوا، و ذلك وصف لهم بخصوص من التصديق، و ذلك أنهم كانوا صنفين: أهل توراة مصدقين بها و بمن جاء بها، و هم مكذبون بالإنجيل و القرآن و عيسى و محمد صلوات الله عليهما؛ و صنف أهل إنجيل و هم مصدقون به و بالتوراة و سائر الكتب، مكذبون بمحمد (ﷺ) و الفرقان [١] .

وبين ابن كثيرفي تفسيره هنا يأمرالله سبحانه و تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان و شعبه و أركانه و دعائمه و ليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل و تقريره و تثبيته و الاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة ((اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ))[٢] . أي بصرنا فيه و زدنا هدى و ثبتنا عليه [٣].

وقال سيد قطب هنا (بيان لعناصر الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا، بيان للتصور الإسلامي الاعتقادي فهو إيمان بالله و رسوله، يصل قلوب المؤمنين بربهم الذي خلقهم، و أرسل إليهم من يهديهم إليه، و هو الرسول محمد و إيمان برسالة الرسول و تصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرسله ، و هو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله، يربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم و بينه لهم في هذا الكتاب؛ و الأخذ بكل ما فيه، بما أن مصدره واحد، و طريقه واحد؛ و ليس بعضه بأحق من بعضه بالتلقي و القبول و الطاعة و التنفيذ) [٤].

وأوضح مغنية في تفسيره هو ان يؤمن الأنسان باركان الإيمان ككل وليس بجزء و هي الايمان بالله و جميع رسله و كتبه و ملائكته و اليوم الآخر[٥] .

---

[١] ظ : جامع البيان ، ٥ / ٢٠٩ .

[٢]الفاتحة: ٦ .

[٣] ظ: تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٣ ٨ ٤ .

[٤]في ظلال القرآن، ٢ / ٧٧٨

[٥] ظ : الكاشف ، ٢ / ٤٦٠.

وفي بيان قوله تعالى (وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ ...) ذكر الطبرسي أي من يجحده أو يشبهه بخلقه و يعصي أوامره وينفي ملائكته أو ينزلهم منزلة لا تليق بهم كقولهم بنات الله وَ كُتُبِهِ فيجحدها وَ رُسُلِهِ فينكرهم "وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ " أي يوم القيامة فَقَدْ "ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً" أي ذهب عن الحق و بعد قصد السبيل ذهابا بعيدا [١] .

وقوله تعالى (وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) قال مغنيه (هنا دليل واضح على ان الايمان بالغيب هو ركن من أركان الإسلام، و ان من لا يؤمن به كافر وليس بمسلم وهنا دليل واضح بأن الايمان بالكل وليس الإيمان بجزء وترك الاخر) [٢] .

وبين السبزواري أنّ الإيمان وحدة متكاملة و أنّ الكفر بواحدة منها يوجب الكفر بالجميع بعد الدعوة إلى الإيمان بالجميع منه سبحانه وتعالى [٣] .

استنادا إلى ما سبق بما جاء في التفاسير من الآراء الواردة يرى الباحث ان الآية الكريمة اوحت الى المقارنة بين الذين يؤمنون بالله سبحانه وأنبيائه وكتبة واليوم الآخر أيمانا مطلقا وهذا هو الإيمان الحقيقي وبين الذين كفروا و لم يومنوا أيماناً حقيقياً وينكروا ما جاءت به الرسل وهؤلاء هم الضآلون.

المطلب الرابع : المقارنة بين أثر الشرك وعدمه :

قال تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً)) [٤] .

قال سيد قطب ان الشرك (يتحقق باتخاذ آلهة مع الله اتخاذا صريحا على طريقة الجاهلية العربية كما يتحقق بعدم إفراد الله بخصائص الألوهية و الاعتراف لبعض البشر بهذه الخصائص،كإشراك اليهود و النصارى الذي حكاه القرآن من أنهم ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [٥] . كانوا اعترفوا لهم بحق التشريع لهم من دون الله. فحرموا عليهم و أحلوا لهم. فاتبعوهم في هذا. و منحوهم خاصية من

---

[١] ظ: مجمع البيان ، ٣ / ١٩٣ .

[٢] محمد جواد مغنية ، الكاشف ، ٢ / ٤٦٢ .

[٣] ظ : مواهب الرحمان في تفسير القرآن ، ١٠ / ١٥ .

[٤] سورة النساء : ١١٦ .

[٥] التوبة ٣١.

خصائص الألوهية فحق عليهم وصف الشرك ، و قيل عنهم إنهم خالفوا ما أمروا به من التوحيد (وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً) فيقيموا له وحده الشعائر، و يتلقوا منه وحده الشرائع و الأوامر)[١] .

وفي بيان قوله تعالى (٠٠٠فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً) ذكر الطبرسي أي ان يذهب عن طريق الحق و النعيم المقيم في الجنة ذهابا بعيدا لأن الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب أبعدهاوأشرها الشرك بالله [٢]،و لم يكونوا عبدوهم مع الله و لكن كانوا فقط اعترفوا لهم بحق التشريع لهم من دون الله) [٣] .

وخلاصة القول ان الآية قارنت هنا بين الذين اتخذوا شريكا لله سبحانه وتعالى بعدم المغفرة لهم أي مغفرتهُ للشرك لان الخلقة تثبت لما فيها من الرحمة على اساس العبودية لله جلا وعلا ، ولا عبودية مع الشرك وبين المغفرة والشفاعة لما دون الشرك .

المطلب الخامس : المقارنة بين أهل الكفر وأهل العبودية من حيث الطاعة:

قال تعالى ((لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً)) [٤].

كما وردت في سورة النساء في موضع آخر المقارنة بين الذين يستنكفون ويتكبرون من اهل الكفر عن عبادة الله سبحانه وتعالى وبين أهل الأيمان المطعين له سبحانه وتعالى .

قال الطبري (يعني جل ثناؤه بقوله لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ ولا يأنف و لن يستكبر المسيح أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ سبحانه وتعالى (وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) فإنه يعني و لن يستنكف أيضا من الإقرار بالعبودية لله سبحانه وتعالى ، و الإذعان له بذلك رسله المقربون الذين قربهم الله و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه) [٥] .

---

[١] في ظلال القرآن ، ٢ / ٧٦٠ .
[٢] الطبرسي، مجمع البيان ، ٣ / ١٧٠ .
[٣] في ظلال القرآن ، ٢ / ٧٥٩ .
[٤] النساء : ١٧٢ – ١٧٣ .
[٥] جامع البيان ، ٦ / ٢٦ .

وذكر الطبرسي في تفسيره لمعنى قوله تعالى (أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) أي و لا الملائكة المقربون يأنفون و يستكبرون عن الإقرار بالعبودية لله و الإذعان له والمقربون الذين قربهم تعالى و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه "وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ" أي من يأنف عن عبادته وَ يَسْتَكْبِرْ أي يتعظم بترك الإذعان لطاعته وقوله تعالى "فَسَيَحْشُرُهُمْ" أي فسيبعثهم "إِلَيْهِ" أي يوم القيامة[١] .

وأما الذين تعظموا وأبوا عن الإقرار لله بالعبودة و الإذعان له بالطاعة، و استكبروا عنه بالتذلل لألوهته و عبادته و تسليم الربوبية و الوحدانية له." فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً" يعني: عذابا موجعا، وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ناصرا ولا وليا يقول اي لا يجد المستنكفون من عبادته و المستكبرون عنها إذا عذبهم الله الأليم من عذابه سوى الله لأنفسهم وليا ينجيهم من عذاب الله سبحانه وتعالى [٢] .

وذكر سيد قطب انه يريد الله سبحانه أن تستقر هذه الحقيقة بكل جوانبها التي بيناها في نفوس وحياة الناس ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله سبحانه وحده ليعرفوا من صاحب السلطان في هذا الكون و في الأرض فلا يخضعوا إلا له سبحانه ، وإلى منهجه و شريعته للحياة، والى من يحكم حياتهم بمنهجه و شرعه دون سواه ، ويريد أن يعرفوا أن العبيد كلهم عبيد ليرفعوا جباههم أمام كل من عداه حين تعنو له وحده الوجوه و الجباه ،و يريد أن يستشعروا العزة أمام المتجبرين و الطغاة حين يخرون له راكعين ساجدين يذكرون الله و لا يذكرون أحدا إلا الله تعالى [٣] .

وبين ناصرمكارم الشيرازي إنّ الله سبحانه وتعالى يجازي يوم القيامة أولئك الذين آمنوا و عملوا الصالحات و وعملوا خيرا، و يعطيهم ثوابهم كاملا غير منقوص [٤].

ان الله سبحانه وتعالى المقرون بوحدانيّته والذين يعملون بطاعته، أنّه يوفّيهم أجور أعمالهم الصالحة وافيا تامّا، فقال (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بوحدانيّة الله و بنبوّة رسوله وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

---

[١] ظ: مجمع البيان ٣ / ٢٢٥ .

[٢] ظ :الطبري، جامع البيان ، ٦ / ٢٧ .

[٣] ظ : في ظلال القرآن ، ٢ / ٨٢٠ .

[٤] ظ : الأمثل ، ٣ / ٥٥٨ .

أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) على طاعتهم، بأن كان لهم عشر أمثالها إلى سبعين ضعفا، و إلى سبعمائة، و إلى الأضعاف الكثيرة و الزيادة على المثل تفضّل ولطف من الله سبحانه عليهم[١].

وتبين للباحث من خلال عرض الآراء التفسيرية للعلماء ان الآيات الكريمة قارنت بين الذين استكبروا عن عبادة الله سبحانه وتعالى وانه سيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون من ينصرهم وليس لهم من ولي ولا ناصر وانهم سيحشرون لله اجمعين وبين اهل الإيمان الذين لم يتكبروا ولم يستنكفوا سوف يكون أجرهم مضاعفاً كما ذكرت الآية الكريمة .

المطلب السادس : المقارنة بين المؤمن والكافر من حيث التصديق وعدمه :

قال تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)) [٢] .

قارنت الآيتان مقارنة صريحة بين المؤمنين الذين عملوا الصالحات وبين الكافرين الذين كذبوا بالآيات من خلال وصف جزاء كلا الفئتين و مظاهر اهل الجنة واهل النار باستخدام اسلوب الترغيب بالجنة والترهيب من النار.

والإيمان في اللغة : معناه (التصديقُ) [٣].

والإيمان اصطلاحاً : التصديق القلبي بالله وبرسوله وبجميع ما جاء به الرسول [٤] .

والإيمان في الشرع : (الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان) [٥] .

اما الكفر لغةً : (فالكُفْرُ ضدُّ الإيمان) [٦] .

---

[١] ظ :الكاشاني، المولى فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٢ / ٢٠٢ .

[٢] النساء :٥٦ – ٥٧ .

[٣] ابن منظور، لسان العرب ،١٣ / ٢١ .

[٤] المازندراني ، مولي محمد صالح ، شرح اصول الكافي ٦ / ١٢٩ .

[٣] الجرجاني ، التعريفات ، ٤٠ .

[٦] الجوهري، الصحاح تاج اللغة ، ٢ / ٨٠٧ .

(الكفر بِاللَّه أَو بِنِعْمَة الله ... كفر نعْمَة الله فَهُوَ كَافِر) [١]

اما الكفر في الاصطلاح : (فالتكذيب بالله وبما جاءت به رسله عنه كلا او بعضا) [٢] .

أوضح الطبرسي في تفسيره لمعنى الآية ان الكفار جحدوا حُججنا و كذبوا أنبياءنا و دفعوا الآيات الدالة على توحدنا و صدق نبينا (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً) أي نصليهم نارا ونحرقهم فيها و نعذبهم بها ودخول سوف لتدل على أنه يفعل ذلك بهم في المستقبل[٣] .

وفي بيان قوله تعالى (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها) فيها أقوال [٤] .

اولاً : إن الله تعالى يجدد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في أنها غيرها عن قتادة و جماعة من أهل التفسير .

ثانياً : إن الله يجددها بأن يردها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة هو اختيار الزجاج و البلخي و أبي علي الجبائي .

ثالثاً: إن التبديل إنما هو للسرابيل التي ذكرها الله تعالى سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ و سميت السرابيل الجلود على سبيل المجاورة للزومها الجلود

(لِيَذُوقُواْ العذاب) هنا استعارة لأن أصل الذوق باللسان فاستعير إلى الألم الذي يصيب الإنسان [٥] .

اذ بين الطبري وعد الله سبحانه وتعالى للذين كذبوا بما أنزل الله على محمد من يهود بني إسرائيل و غيرهم من سائر الكفار برسوله. يقول الله لهم: إن الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد (ﷺ)من آياتي، يعني من آيات تنزيله و وحي كتابه، و هي دلالاته و حججه على صدق محمد صلى الله عليه وآله و سلم، فلم يصدقوا به من يهود بني إسرائيل و غيرهم من سائر أهل الكفر به؛ سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً [٦].

---

[١] المعجم الوسيط ، ٢ / ٧٩٢ .

[٢] مصطفى سعيد الخن ، العقيدة الاسلامية أركانها – حقائقها – مفسدتها ، ٥٧٧ .

[٣] ظ :مجمع البيان ، ٣ / ٦٩ .

[٤] ظ: الطبرسي : مجمع البيان ، ٣ / ٦٩ .

[٥] ظ: محمد علي، الصابوني، صفوة التفاسير ، ط١،ت ١٤١٧– ١٩٩٧ ، ١ / ٢٥٩ .

[٣] ظ : جامع البيان ، ٥ / ٩٠ .

نصليهم أي نشويهم ، يقال : شاة مصلية ، أي مشوية . ونضج الثمر أو اللحم أدرك وطاب ، والمراد بنضجت هنا احترقت وتلاشت [١] .

واضح ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره علّة تبديل الجلودعلى الظاهر هي أنّه عند ما تنضج الجلود يخف الإحساس بالألم لدى الإنسان، و لكي لا تتخفف عقوبتها و عذابها و ليحس لإنسان بالألم إحساسا كاملا، تبدل الجلود، و تأتي مكان الجلود الناضجة جلود جديدة، و ما هذا إلّا نتيجة الإصرار على تجاهل الأوامر الإلهية، و مخالفة الحق و العدل الإلهي و الإعراض والصد عن طاعة الله أنّه قادر بعزّته أن يوقع هذه العقوبات بالعصاة، و أنّه لا يفعل ذلك اعتباطا، بل عن حكمة و على أساس الجزاء على المعاصي [٢] .

وذكر الأصفهاني في بيان قوله تعالى : (كُلَّمَا نَضِجَتْ "جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) قولان

القول الأول : يعاد الجلد بعينه بغير صوره.

والقول الآخر : ان يجعل لهم جلوداً اخرى غير جلودهم عند نضوجها [٣] .

وذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ٠٠٠)الذين آمنوا بالله و رسوله محمد (ﷺ) و صدقوا بما أنزل الله على محمد(ﷺ)مصدقا لما معهم من يهود بني إسرائيل و غيرهم من باقي الأمم وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فقال وأدوا ما أمرهم الله به من فرائضه، و اجتنبوا ما حرم الله عليهم من معاصيه، و ذلك هو الصالح من أعمالهم.(سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) فقال: سوف يدخلهم الله يوم القيامة جنات، يعني بساتين تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [٤].

وبين ابن عاشور ان معنى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ذكر انها للمقابلة و زيادة الغيظ للكافرين و اقتصر من نعيم الآخرة على لذّة الجنّات و الأزواج الصالحات، لأنّهما أحبّ اللذّات المتعارفة للسامعين، فالزوجة الصالحة آنس شيء للإنسان، و الجنّات محّل النعيم و حسن المنظر. و قوله تعالى : وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا هو من تمام محاسن الجنّات، لأنّ الظلّ إنّما يكون مع الشمس، و ذلك جمال

---

[١] محمد جواد مغنية، الكاشف ، ٢ / ٣٥٢ .

[٢] ظ: الامثل ، ٣ / ٢٧٧ .

[٣] ظ : تفسير الراغب الأصفهاني ، ٣ / ٢٧٨ .

[٤] ظ : جامع البيان ، ٥ /١ ٩ .

الجنّات و لذّة التنعّم برؤية النور مع انتفاء حرّه. و وصف بالظليل و صفا مشتقّا من اسم الموصوف للدلالة على بلوغه الغاية في جنسه)[١] . "وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا "أي: دائما لا تنسخه الشمس، كما تنسخ الظل[٢] .

ووعد الله المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنّ يدخلهم جنّات تجري من تحت أشجارها الأنهار و السواقي يعيشون فيها حياة خالدة ،فضلاً عما ما يعطون من أزواج مطهّرات يستريحون إليهن، و يجدون في كنفهن لذة الروح و الجسد، و ينعمون تحت ظلال خالدة بدل الظلال الزائلة، لا تؤذيهم الرياح اللافحة كما لا يؤذيهم الزمهرير أبدا [٣].

وبناء على ما تم ذكره تباينت آراء المفسرين بالمراد بمقصد الآية الكريمة (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا)

قال الصابوني (بدلوا جلوداً غيرها) [٤] . وقال الفيروزآبادى (جددنا جُلُودهمْ) [٥]

وذكر الطبرسي تجديد جلودهم [٦] . وذكر الراغب الاصفهاني يعاد الجلد بعينه [٧] .

ويرى الباحث ان المراد با لتبديل هو ما ذهب اليه الطوسي، و ابن كثير، وهو تجديد الجلود فقيل لأبي عبد الله (عليه السلام) كيف تبدل جلود غيرها قال: (أرأيت لو اخذت لبنة فكسرتها وصيرتها ترابا ثم ضربتها في القالب أهي التي كانت، إنما هي ذلك، وحدث تفسيرا آخر والأصل واحد)[٨] .

ومن هنا يظهر أن الآيتين الكريمتين قارنتا بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين الذين كفروا بآيات الله وجزاء كل من الفرقين باستخدام اسلوب الترغيب في الايمان والترهيب من الكفر بآيات الله سبحانه وتعالى فذكرت ان الله سوف يدخل المؤمنين جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

---

[١] التحرير و التنوير ، ٤ / ١٥٩ .

[٢] ظ: الواحدي النيسابوري ،الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، ٢/ ٦٧ .

[٣] الطبري ، جامع البيان ، ٥ /١ ٩.

[٤] الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، ١ / ٤٠٤ .

[٥] الفيروزآبادى، ابن عباس ، مجد الدين محمد ، تنوير المقباس من تفسير ، ٧٢ .

[٦] ظ: مجمع البيان ، ٣ / ٩٣ .

[٧] ظ: تفسير الراغب الأصفهاني ، ٣ / ٢٧٨ .

[٨] علي ابراهيم القمي، تفسير القمي ، ١ / ١٤١ .

وينعمون بخيراتها وفي الجانب الآخر العذاب للذين كفروا سوف يصلون بنيران جهنم هي مأواهم وبئس المصير .

المطلب السابع / المقارنة بين العبادة لله والإشراك به :

قال تعالى ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا))[١] .

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى الاله الحقيقي مقارنة بعبادة من دونه من الاوثان والاصنام والتي لا تضر ولا تنفع .

قال الطبرسي في بيان قوله تعالى (وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ٠٠٠٠) أي وحدوه و عظموه و لا تشركوا في عبادته غيره فإن العبادة لا تجوز لغيره لأنها لا تستحق إلا بفعل أصول النعم و لا يقدر عليها سواه تعالى)[٢] .

وذكر ابن كثير ان الله تبارك و تعالى يأمر العباد بعبادته وحده وان لايشرك به احد ، فإنه هو الخالق الرازق العظيم المنعم المتفضل على خلقه في ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه و لا يشركوا به شيئا صنماً كان اوغير صنم في الباطن او الظاهر [٣].

وقال الفخر الرازي (وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا ...) ذلك لأنه تعالى لما أمر بالعبادة بقوله: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ أمر بالإخلاص في العبادة بقوله وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً لأن من عبد مع الله غيره كان مشركا و لا يكون مخلصا) [٤] . وان عبادة الله هى الخضوع له سبحانه و تمكين هيبته و عظمته وسلطانه من النفس، والخشوع لسلطانه فى الجهر والسر ، و أمارة ذلك العمل بما به أمر، و ترك عمن نهى، و بذا تصلح

---

[١] النساء : ٣٦ .

[٢] مجمع البيان ، ٣ / ٧٣ .

[٣] ظ : القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦٠ .

[٤] مفاتيح الغيب ، ١٠ / ٧٥ .

جميع الأعمال من أقوال و أفعال منها ما ذكره سبحانه عن مشركى العرب من عبادة الأصنام والاوثان[١].

و قد ذكر القرآن آيات كثيرة كقوله ((وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ))[٢] .

وفي بيان معنى قوله تعالى (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) ذكر الماوردي في معناها ثلاثة أقوال : [٣] .

أحدها: أنه الرفيق في السفر قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

.والثاني :أنها زوجة الرجل التي تكون في جنبه ، وهو قول ابن مسعود.

والثالث :أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك ، وهو قول ابن زيد

واضاف الطبرسي معنى رابعاً فذكر :

أحدها :أنه الرفيق في السفر، عن ابن عباس و سعيد بن جبير .

والثاني : أنه الزوجة: قول عبد الله بن مسعود.

والثالث : المنقطع إليك يرجو نفعك، قول ابن عباس و ابن زيد

والرابع : أنه الخادم الذي يخدمك ، و الأولى عنده حمله على الجميع [٤].

وسبقهم الطبري الى احد المعاني التي وردت عنهم والتي ترسم دلالة قوله (والصاحب بالجنب) وقال (وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ" الصاحب إلى الجنب، كما يقال: فلان بجنب فلان و إلى جنبه، و هو من قولهم جنب فلان فلانا فهو يجنبه جنبا، إذا كان لجنبه، و من ذلك جنب الخيل، إذا قاد بعضها إلى جنب بعض. و قد يدخل في هذا الرفيق في السفر، و المرأة، و المنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء

---

[١] ظ: أحمد بن مصطفى ، تفسير المراغي ، ٥ / ٣٤ .

[٢] الحج : ٧١ .

[٣] النكت والعيون ، ١ / ٤٨٥ .

[٤] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ٧٢ .

نفعه، لأن كلهم بجنب الذي هو معه و قريب منه، و قد أوصى الله تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب) [١].

ويخلص البحث الى أن الآية الكريمة فيها مقارنة بين عبادة الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الواجب عبادته الذي عنده علم السموات والارض وبين الشرك بعبادة الاصنام والتي لا تضر ولا تنفع .

المطلب الثامن : المقارنة بين الوحدانية لله وبين تعدد الآلهة .

قال تعالى ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطاناً مَرِيداً)) [٢].

وفي مورد آخر من سورة النساء وردت الآية المباركة والتي تحدثت عن الذين يدعون من دون الله الى من هو ليس ألاله من الاصنام بل ألاله الباطل .

اختلفت آراء المفسرين في المراد من قوله تعالى (٠٠٠ إِلاَّ إِناثا)

بين الطباطبائي ان الإناث جمع أنثى يقال: أنث الحديد أنثا أي انفعل و لان، و أنث المكان أسرع في الإنبات و جاد، ففيه معنى الانفعال و التأثر، فالظاهر والمراد بالأنوثة الانفعال المحض الذي هو شأن المخلوق إذا قيس إلى الخالق عز وجل ،وذكر و هذا الوجه أولى مما قيل: إن المراد هو اللات و العزى و منات الثالثة وغيرها [٣]

وقال القرطبي في بيانه لقوله تعالى (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أي من دون الله (إِلَّا إِناثاً)، نزلت في أهل مكة إذ عبدوا الأصنام. و (إِنْ) نافية بمعنى (ما) و (إِناثاً) أصناما، يعني اللات و العزى و مناة. وكان لكل حي صنم يعبدونه و يقولون أنثى بني فلان) [٤] .

وذكر النيشابوري فيها قولين :

اولا : يدعون أصنامهم باسمها مجاهد و الكلبي *

---

[١] ظ: جامع البيان ، ٥ / ٥ .

[٢] النساء: ١١٧.

[٣] ظ: الميزآن ، ٥ / ٨٣ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن ، ٣/ ٣٨٧ .

الآخر : يعني أمواتا لا روح فيه خشبة و حجر و مدر و نحوها، الحسن و قتادة [١] .

وذكر الطبرسي في ان المراد بالآيه "إِلَّا إِناثاً" فيها أقوال ثلاثة : [٢]

أحدها: إلا أوثانا و كانوا يكنون الأوثان باسم الإناث اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى و نائلة وإساف عن أبي مالك و السدي و مجاهد و ابن زيد .

ثانيا: أن المعنى إلا أمواتاً على هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله إلا جمادا و أمواتا اي لا تعقل ولا تنطق و لا تضر و لا تنفع .

عن ابن عباس و الحسن* و قتادة .

ثالثا: أن المعنى إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله و كانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك .

وأوضح الفخر الرازي في قوله تعالى (إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً) كان في كل واحد من تلك الأوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم، و قال الزجاج: المراد بالشيطان إبليس بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية "وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضا" و لا شك أن قائل هذا القول هو إبليس، و لا يبعد أن الذي تراءى للسدنة هو إبليس، و أما المريد فهو المبالغ في العصيان الكامل في البعد من الطاعة. [٣] .

يتضح مما سبق ان الآية الكريمة قارنت مقارنة صريحة بين الآله الواحد الحقيقي وهو الله سبحانه

وتعالى القادر على كل شيء وبين من هو دونه لان تلك المعبودات من الاوثان والاصنام كلها باطلة وزائلة وفانية حقيقتها وليس لها القدرة على شيء كونها مختلفة في حقيقتها .

---

* هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (٢٠٤ هـ – ٨١٩) ، الزركشي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الاعلام ،٨ / ٨٧ .

[١] النيشابوري ، أحمد بن إبراهيم ، الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، ٣/ ٣٨٧ .

* الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه(ت ١١٠ هـ) ، الزركشي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الاعلام ، ٢ / ٢٢٦ .

[٢] الطبرسي، مجمع البيان ، ٣ / ١٧٣ .

[٣] ظ :الرازي، مفاتيح الغيب ،١١ / ٢٢١ .

المبحث الثاني

المطلب الأول / الطاعة والمعصية للرسول. (ﷺ)

قال تعالى ((تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)) [١]

تحث الآية الكريمة على الطاعة لله سبحانه وتعالى و للرسول الكريم وقد استعمل القرآن الكريم في الآية المباركة أسلوب الترغيب في وجوب الالتزام في حدود الله سبحانه وتعالى وان له جزاء منه هو جنات وانهار وبالمقابل الترهيب على العصيان والتعدي على حدود الله وجزاؤه العذاب الشديد هو الخلود في نار جهنم .

ذكر الطبرسي في تفسيره في أن الآيتين المباركتين فيها ما فرضه الله تعالى من فرائض المواريث ثم تلاها بذكر الوعد في الائتمار لها و الوعيد على التجاوز لحدودها فقال" تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" أي هذه التي بينت في أمر الفرائض و أمر اليتامى حدود الله أي الأمكنة التي لا ينبغي أن تتجاوز عن الزجاج .

واختلفو في معنى الحدود على أقوال :

اولاً : يراد بها شروط الله سبحانه وتعالى بحسب قول السدي.

ثانياً : تلك طاعة الله ،عن ابن عباس .

ثالثاً : هي تفصيلات الله لفرائضه و هو الأقوى.

ويكون المراد مجموع هذه القسمة التي قسمها الله لكم و الفرائض التي فرضها الله لأحيائكم من أمواتكم ففصل بين الطاعة لله و معصيته [٢].

اما فيما يخص الطاعة ففيها قولين

---

[١] النساء :١٣- ١٤ .

[٢] مجمع البيان ،٣ / ٣٢ .

الاول فيما أمر به من احكام.

والآخر فيما فرض له من فرائض المواريث [١] .

وذكر الطباطبائي ان الحد هو الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر و ارتفاع التمايز بينهما كحد بين الدار و البستان، و المراد بها أحكام الإرث و الفرائض المبينة، و قد عظم الله أمرها بما ذكر في الآيتين من الثواب على اطاعة الله و إطاعة الرسول فيها و العذاب الخالد المهين على معصيتهما [٢] .

وقال الطوسي في بيان معنى قوله تعالى (وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ) معناه يعصي الله فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى)[٣].

وذكر الفخر الرازي (ان القرآن الكريم استعمل اسلوب الترغيب في الطاعة لحدود الله حيث وعدهم بالجنان الخالدة والترهيب من المعصية لهاويتعدى حدوده سبحانه سوف تكون العاقبة نار جهنم والعذاب الشديد ، وقوله تعالى تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ: (تِلْكَ) فيها قولان : [٤] .

الأول: أنه إشارة إلى أحوال المواريث.

والقول الثاني : بيان أموال الأيتام و أحكام الأنكحة و أحوال المواريث.

و حجة القول الأول أن الضمير يعود الى أقرب المذكورات، و حجة القول الثاني أن عوده الى الأقرب إذا لم يمنع من عوده الى الأبعد مانع يوجب عوده الى الكل .

(وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ٠ و قوله (وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ)مختص بمن أطاع أو عصى في هذه التكاليف المذكورة في هذه السورة، و قال المحققون: بل هو عام يدخل فيه هذا و غيره، و ذلك لأن اللفظ عام فوجب أن يتناول الكل و يكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الأمور)

---

[١] مجمع البيان ، ٣ / ٣٨ .

[٢] الميزان : ٤ / ٢١٢.

[٣] التبيان : ٣ / ١٤٠ .

[٤] ظ: مفاتيح الغيب : ٩ / ٥٢٦ .

وبين سيد قطب في تفسيره للآية الكريمة (ان الفرائض و التشريعات، التي شرعها الله لتقسيم التركات، وفق علمه و حكمته، و لتنظيم العلاقات العائلية في الأسرة، و العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية في المجتمع و" تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ "حدود الله التي أقامها لتكون هي الفيصل في تلك العلاقات، و لتكون هي الحكم في التوزيع و التقسيم ، و يترتب على طاعة الله و رسوله فيها الجنة و الخلود و الفوز العظيم. كما يترتب على تعديها و عصيان الله و رسوله فيها النار و الخلود و العذاب المهين) [١]. ومعنى قوله تعالى (... خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) اي دائمين ولهم الفلاح العظيم [٢].

وذكر ابن عاشور في معنى قوله تعالى(خالِداً فِيها) استعمل الخلود في طول المدّة، وأريد من عصيان الله و رسوله العصيان الأتمّ و هو نبذ الإيمان، لأنّ القوم يومئذ كانوا قد دخلوا في الإيمان و نبذوا الكفر، فكانوا حريصين على العمل بوصايا الإسلام، فما يخالف ذلك إلّا من كان غير ثابت الإيمان إلّا من تاب) [٣] .

وبين الشيرازي معنى قوله تعالى (... وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها) المقابلة لهذا المصير في صورة المعصية، و تجاوز الحدود الإلهية إذ يقول(على أنّنا نعلم أن معصية الله مهما كانت كبيرةلا توجب الخلود و العذاب الأبدي في النار، و على هذا الأساس يكون المقصود في الآية الحاضرة هم الذين يتعدون حدود الله عن تمرد و طغيان و عداء و إنكار لآيات الله، و في الحقيقة الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر)[٤] .

ويبدو مماسبق أن هنالك اختلاف في الآراء من المراد بالمعصية فقال الطوسي المراد بالمعصية هو من يعصي الله فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى، وقال القرطبي المراد بالمعصية هو الكفر ، وعند ابن عاشور الذنب، وعند الرازي مقصوده معصيته في جميع الأمور؛ ويرى الباحث ان المراد بالمعصية ما ذهب اليه الطوسي وهو من يعصي الله فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى لان الآية جاءت بعد ما بينت الفرائض وحقوق الأيتام في سورة النساء .

---

[١] فى ظلال القرآن،١ / ٥٩٥ .

[٢] ظ : مجمع البيان ،٣ / ٣٢ .

[٣] التحرير والتنوير ، ٤ / ٥٥ .

[٤] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ١ / ١٤١ .

وخلاصة القول ان الآيتين المباركتين قارنتا بين المطعين لله سبحانه وتعالى ورسوله(ﷺ) وبين العاصين لهم باستعمال اسلوب الترغيب بالجنة والترهيب بالنار فقد ذكرت جزاء كل الفئتين فالفئة المطيعة لله ورسوله سوف يدخلون جنات تجري من تحتها الانهار خالدين وخلودهم فيها ابدي فيها اما الفئة المقابلة فان لهم نار جهنم جزاء لهم لما اقترفوه من ذنب ومعصية لله ورسوله .

المطلب الثاني / المقارنة بين الإيمان بالرسول (ﷺ) وبين عدم التصديق به .

قال تعالى ((فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً)) [١] .

وفي موضع آخرمن سورة النساء قارنت الآية الكريمة بشكل غيرصريح بين الذين آمنوا بالرسول محمد (ﷺ)وبين الذين يصدون ويعرضون عنه .

قال الطوسي (فمن أمة ابراهيم من آمنوا به (ﷺ) ، و منهم من اعرض عنه)[٢] .

وذكر الفخر الرازي اختلفت الآراء التفسيرية في معنى "به" قيل ان المراد النبي (ﷺ) و المراد أن هؤلاء القوم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب آمن بعضهم و بقي بعضهم على الكفر و الإنكار. و قيل المراد من تقدم من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام. و المعنى أن أولئك الأنبياء مع ما خصصتهم به من النبوة جرت عادت أممهم فيهم أن بعضهم آمن به و بعضهم بقوا على الكفر[٣] .

وقال الواحدي (وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْ النبي محمد (ﷺ) أعرض عنه فلم يؤمن به)[٤] .

والصد الصرف و قد قوبل الإيمان بالصد لأن اليهود ما كانوا ليقنعوا على مجرد عدم الإيمان بما أنزل على النبي (ﷺ) دون أن يبذلوا مبلغ جهدهم في صد الناس عن سبيل الله و الإيمان بما نزله من الكتاب، و ربما كان الصد بمعنى الإعراض و حينئذ يتم التقابل من غير عناية زائدة [٥].

---

[١] النساء: ٥٥ .

[٢] ظ التبيان ، ٣ / ٢٢٩ .

[٣]ظ : مفاتيح الغيب،١٠ / ١٠٥.

[٤] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١/ ٢٦٩

[٥] الطباطبائي ، الميزان ، ٦ / ٣٧٧ .

وذكر الطباطبائي في معنى قوله تعالى (... وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) تهديد لهم بسعير جهنم في مقابل ما صدوا عن الإيمان بالكتاب و سعروا نار الفتنة على النبي (ﷺ) و الذين آمنوا معه[١] .

وذكر السيد عبدالله شبرالمقصود من الصد العرض وعدم الأيمان (وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) النارالمستعرة التي يعذبون بها [٢] .

ويظهر مما ورد من الآراء التفسيرية ان الآية الكريمة قارنت بين الذين آمنوا سواء من آمن من اهل الكتاب بالنبي محمد (ﷺ) اومن أمة ابراهيم عليه السلام وبين من اعرضوا وبقوا على الصد و الكفر ووعدهم الله سبحانه وتعالى وتهديده لهم بعذاب جهنم المستعرة .

المطلب الثالث / التحاكم الى الرسول أو الطاغوت .

قال تعالى ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً ۞ أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً))[٣] .

فقد جاء في سبب نزولهاعند الواحدي (ماروي عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ انَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَدَعَا الْيَهُودِيُّ الْمُنَافِقَ الَى النَّبِيِّ محمد (ﷺ)لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ، وَدَعَا الْمُنَافِقُ اليهودي إلى حاكمهم لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ فِي أَحْكَامِهِمْ، فَلَمَّا اخْتَلَفَا اجْتَمَعَا عَلَى أَنْ يُحَكِّمَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ يَعْنِي الطَّاغُوتِ) [٤] .

و ذكر سيد قطب في تفسيره لمعنى الآية إن الحكم لله سبحانه وحده في القضايا في حياة البشر ما كبر منها و ما صغر و الله سبحانه وتعالى قد سن شريعة وأودعها في القرآن و أرسل الرسول ليبينها للناس و لا ينطق عن الهوى فسنته (ﷺ) وشريعته من شريعة الله سبحانه وان الله تعالى واجب الطاعة و من خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة فشريعته واجبة التنفيذ و على الذين آمنوا أن يطيعوا

---

[١] م– ن ، ٦ / ٣٧٧ .

[٢] الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، ٢ / ٥٦ .

[٣] النساء : ٥٩ – ٦٠ .

[٤] الواحدي النيسابوري ، أسباب نزول القرآن ، ١٦٢ .

الله ابتداء و أن يطيعوا الرسول بما له من هذه الصفة وهي صفة الرسالة من الله تعالى فطاعته إذن من طاعة الله سبحانه واجبة التنفيذ [١] .

وبين انه(يلتفت إلى الذين ينحرفون عن هذه القاعدة ثم يزعمون بعد ذلك أنهم مؤمنون وهم ينقضون شرط الإيمان وحد الإسلام، إذ يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله ويذهبوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا من الله أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ليعجب من أمرهم و عليهم ذلك و ليحذرهم و أمثالهم من إرادة الشيطان الذي يريد بهم الضلال، و يصف حالهم حين يدعون إلى ما أنزل الله و إلى الرسول فيصدون، و يعد هذا الصدود نفاقا كما عد إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجا من الإيمان) [٢] .

وذكر الطبرسي في تفسيره في بيان قوله (... وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ...)

للمفسرين فيه قولين :

أحدهما: أنهم الأمراء، عن ابي هريرة و ابن عباس ،وميمون بن مهران و السدي، وقد اختاره الجبائي و البلخي و الطبري.

ثانيا: أنهم العلماء ، عن جابر بن عبد الله و ابن عباس. وفي الرواية الأخرى و مجاهد و الحسن و عطا، والقول الأخر : عند الشيعة أولي الأمر هم الأئمة عليهم من آل محمد (ﷺ) [٣] .

في حين ذكر الطبري أن هنالك عدة آراء للمفسرين في تأويل في أولي الأمر الذين أمر الله عباده بطاعتهم في هذه الآية، فقال بعضهم : هم الأمراء ؛وقال البعض الآخر هم السلاطين و قال آخرون: أهل العلم و الفقه ، ثم بعد ذلك يذكر الصواب عنده على من قال: هم الأمراء و الولاة [٤] .

اما الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فيقول (ذهب كلّ مفسّري الشيعة بالاتفاق إلى أنّ المراد من "أولي الأمر" هم الأئمّة المعصومون عليهم السّلام الذين أنيطت إليهم قيادة الأمة الإسلامية المادية و

---

[١] ظ : في ظلال القرآن ، ٢ / ٦٩٠ .
[٢] ظ : م – ن ، ٢ / ٦٩٠ .
[٣] مجمع البيان ، ٣ / ١٠٠ .
[٤] ظ: جامع البيان ، ٥ / ٩٣

المعنوية في جميع حقول الحياة من جانب الله سبحانه و النّبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لا تشمل غيرهم) [١] .

وذكر الطباطبائي في بيان قوله (وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً) دلالة على أن تحاكمهم إنما هو بإلقاء الشيطان و إغوائه، وهذا هو الوجه الذي فيه الضلال البعيد) [٢] .

وخلاصة القول لما سبق فقد تبين ان الآيتين قارنتا مقارنة صريحة بين الرضا لحكم الله ولرسوله ولشريعة الله سبحانه وتعالى وبين الرفض للحكم لغير الله وهو الكفر وهذا هو الضلال للذين يتحاكمون الى الطاغوت كما جاء في الآية المباركة .

المطلب الرابع / المقارنة بين طاعة الرسول (ﷺ) ومعصيته .

قال تعالى ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا))[٣].

لقد وردت العديد من الآيات في سورة النساء والتي أمرت العباد بطاعة الرسول محمد (ﷺ) .

ذلك لأنه الطريق الذي ينجي العباد وباب نجاتهم ؛ ان طاعة الرسول واجب فرض على كل مسلم ومؤمن لان اطاعة الرسول من اطاعة الله سبحانه وان طاعة الرسول هي سبيل القربى اليه سبحانه وتعالى والنجاة في الدنيا والآخرة .

رغب الله سبحانه تعالى في طاعة الرسول (ﷺ) فقال (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) وبين سبحانه أن طاعته هي طاعة لله عز وجل إنما كانت كذلك لأنها و إن كانت طاعة للنبي (ﷺ) حيث وافقت إرادته المستدعية للفعل فإنها طاعة الله سبحانه أيضا على الحقيقة إذ كانت بأمره و إرادته فأما الأمر الواحد فلا يكون على الحقيقة من أمرين كما أن الفعل الواحد لا يكون من فاعلين "وَ مَنْ تَوَلَّى" أي و من أعرض و لم يطعالرسول (ﷺ) [٤] .

وذكر الفخر الرازي في دلالة الآية فيه قولين :

---

[١] ناصر مكارم شيرازي، الأمثل ، ٣ / ٢٨٧ .

[٢] الميزان ، ٤ / ٤٠٣ .

[٣] سورة النساء :٨٠ .

[٤] مجمع البيان ، ٣ / ١٢٣ .

الاول : أن المراد من التولي هو التولي بالقلب، يعني يا محمد حكمك على الظواهر، أما البواطن فلا تتعرض لها والآخر: أن المراد به التولي بالظاهر[١] .

وقوله تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ) وهذا النص من أقوى الدلائل فضلا عن أدلة أخرى على أنه معصوم في جميع الأوامر و النواهي و في كل ما يبلغه عن الله، لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله و أيضا وجب أن يكون معصوما في جميع أفعاله [٢] .

وأمر الله بإتباعه قال تعالى : ((قلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))[٣] .

وذكر ناصر مكارم الشيرازي هذه إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى أنّه لا يكفي مجرّد الإيمان، و إنما يفيد الإيمان إذا اقترن بالاتباع العملي[٤] .

وقوله تعالى (...فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) ذكر الطبرسي في تفسيره لمعنى الآية أي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد* قال فكان هذا أول ما بعث كما قال في موضع آخر "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ ". ثم أمر فيما بعد بالجهاد و قيل معناه ما أرسلناك حافظا لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف أن لا تقوم بها لأنا نحن نجازيهم عليها و قيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي [٥] .

قال ابن عاشور (ان الله قال للرسول ان من تولى فانت ليس حارسا لهم و مسؤولا عن إعراضهم، و هذا تعريض بهم و تهديد لهم بأن صرفه عن الاشتغال بهم، فيعلم أنّ الله سيتولّى عقابهم) [٦] .

---

[١] مفاتيح الغيب ، ١٠ / ١٤٩ .

[٢] م – ن ١٠ / ٤٩ .

[٣] الاعراف : ١٥٨.

[٤] ظ : الأمثل ، ٥ / ٢٥٥ .

*حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضميّ، البصريّ، أبو إسماعيل :شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجوّدين. يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة (ت ١٧٩ هـ) ، الزركشي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الاعلام ، ٢ / ٢٧١ .

[٥] مجمع البيان ، ٣ / ١٢٣ .

[٦] ظ : التحرير و التنوير، ٤ / ١٩٨ .

وقال الطبري (فَإِنَّا لَمْ نُرْسِلْكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا , يَعْنِي حَافِظًا لِمَا يَعْمَلُونَ مُحَاسِبًا , بَلْ إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [١].وفي ذات الصدد للنص ذهب الزمخشري اليه وافاد من قوله تعالى

(ما أَرْسَلْناكَ) فقال تعني (إلا نذيرا، لا حفيظا و مهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها و تعاقبهم) [٢] . لأن واجب النبي محمد (ﷺ) هو قيادة الناس و هدايتهم و إرشادهم، و دعوتهم إلى اتّباع الحقّ و اجتناب الباطل، و مكافحة الفساد، و حين يصر البعض على اتّباع طريق الباطل و الانحراف عن جادة الحقّ، فلا النّبي (ﷺ) مسؤول عن هذه الانحرافات، و لا المطلوب منه أن يراقب هؤلاء المنحرفين في كل صغيرة و كبيرة، كما ليس المطلوب منه صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يستعمل القوة لإرغام المنحرفين على العدول عن انحرافهم، و لا يمكنه بالوسائل العادية القيام بمثل هذه الأعمال [٣] .

وهنا نجد أن النص قارن بين طاعة الرسول (ﷺ) ومعصيته مستعملاً أسلوب الترغيب والترهيب فرغب الله سبحانه وتعالى في الطاعة للرسول (ﷺ) وعدها طاعة له سبحانه (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) مقارنة من المعصية فقال (وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا).

---

[١] جامع البيان ،٧ / ٢٤٦ .

[٢]الكشاف ، ١ / ٥٣٩ .

[٣]ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٣٤٢ .

المبحث الثالث

المقارنة في آيات الجهاد .

المطلب الأول / المقارنة بين أهل الإيمان وبين أهل الطاغوت في الجهاد .

ووردت في سورة النساء العديد من الآيات التي تحث على الجهاد وتقارن بين اهل الأيمان واهل الطاغوت قال تعالى ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) [١] .

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة بيان صنفين من الناس الأولى المؤمنين بالله تعالى والذين يقاتلون في سبيله وفي الطرف الآخر المؤمنين بالطاغوت كما أشارت الآية وهم الذين يقاتلون في سبيل الشيطان وعالج أرباب التفسير دلالة الآية الكريمة فقد بين الطبري في معنى الآية الذين صدقوا الله و نبيه و أيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به،" يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " يقول: في طاعة الله و منهاج دينه و شريعة الله التي شرعها لعباده." وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ "اي جحدوا و حدانية الله و كذبوا رسوله و ما جاءهم به من عند ربهم، يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ يعني: في طاعة الشيطان و منهاجه الذي شرعه لأوليائه من الذين كفروا [٢] .

وذكر الفخر الرازي في تفسيره ان المؤمنين يقاتلون لغرض نصرة دين الله و إعلاء كلمته، وان الكافرين يقاتلون في سبيل الطاغوت، و هذه الآية كالدلالة على أن كل من كان غرضه في مرضاة غير الله فهو في سبيل الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة و هي أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو يكون سبيل الطاغوت وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتا، ثم أمرالله سبحانه وتعالى المقاتلين في سبيل الله بأن يقاتلوا أولياء الشيطان، و بين أن كيد الشيطان كان ضعيفا، لأن الله ناصر أوليائه، و الشيطان ينصر أولياءه و لا شك أن نصرة الشيطان، لأوليائه ضعيفة مقارنة لنصرة الله عز وجل لأوليائه [٣] .

وذكر الطباطبائي أيضا في معنى قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه" إن قوله "الطَّاغُوتِ"مقايسة بين الذين آمنوا و الذين كفروا من جهة القتال ؛ و بعبارة أخرى من جهة النية لكلا

---

[١] سورة النساء : ٧٦ .

[٢] ظ : جامع البيان ، ٥ / ١٠٧ .

[٣] ظ : مفاتيح الغيب ، ١٠ / ١٤٢ .

الطائفتين في قتالهم ليعلم بذلك شرف المؤمنين على الكفار في طريقتهم و أن سبيل المؤمنين ينتهي إلى الله سبحانه ويعتمد عليه خلافا لسبيل الكفار ليكون ذلك محرضا آخرليدفع المؤمنين ويحثهم على قتالهم [١] . وفي بيان قوله تعالى : "فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً" الذين كفروا لوقوعهم في نهج الطاغوت فلا مولى لهم إلا ولي الشرك خارجون عن ولاية الله ويعبدون غير الله تعالى، و هو الشيطان فهو وليهم، و هم أولياؤه. واستضعف كيد الشيطان لأنه سبيل الطاغوت مقابلة بسبيل الله، و القوة لله جميعا فلا يبقى لسبيل الطاغوت الذي هو مكيدة الشيطان إلا الضعف والهوان ، و لذلك حرض المؤمنين عليهم ببيان ضعف سبيلهم، و شجعهم على قتال هولاء، و لا ينافي ضعف كيد الشيطان بالنسبة إلى سبيل الله قوته بالنسبة إلى من اتبع هواه، و هو ظاهر [٢] .

وقال الشيرازي في بيانه للآية الكريمة (نلاحظ انها تحث المجاهدين على القتال، و تبيّن أهدافهم، مؤكّدة أنّهم يقاتلون في سبيل الله و لمصلحة عباد الله، و أن الكافرين يقاتلون في سبيل الطاغوت المتجبر: الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أي أنّ الحياة في كل الأحوال لا تخلو من الكفاح و الصراع، غير أن جمعا يقاتلون في طريق الحق، و جمعا يقاتلون في طريق الشيطان و الباطل، لذلك تطلب الآية من أنصار الحق أن ينبروا لقتال أنصار الشيطان دونما رهبة و خوف) [٣] .

ومما لا شك فيه ان الجهاد في سبيل الله فيه عبر ومعانٍ سامية وهي إعلاء كلمة الحق على الباطل فأهل الايمان يقاتلون لأجل مصلحة العباد ضد الطاغوت وضد الارهاب وكما استبسل الحشدالشعبي الملبون لنداء المرجعية في الجهاد الكفائي في ساحات الوغى في سبيل الله ونصرة الدين ، فسالت دماؤهم الطاهرة من أجل الوطن والعرض مقارنة بأتباع الشيطان الذين يقاتلون على نهج الشيطان المتمثلة بداعش الارهابي .

وذكر السيد محمد تقي المدرسي ان أول ما يجب ان يتمتع به الناس المستضعفون والمقاتلون من أجلهم هو التحرر من خوف الطاغوت لانه من أكبر العوامل التي يركز عليها الطاغوت في استغلال لناس لتخويفخم و تحطيم معنوياتهم [٤] .

---

[١] ظ : الميزان ، ٤ / ٤٢٠ .

[٢] ظ : م. ن،٤ / ٤٢١ .

[٣] ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل ،٣ / ٣٢٧ .

[٤] ظ : من هدى القرآن ، ٢/ ١٢٢.

وبين سيد قطب أن الكافرين يقاتلون في سبيل الطاغوت، لتحقيق مناهج مختلفة غير منهج الله و إقرار شرائع مختلفة غير شريعة الله و إقامة قيم متعددة غير التي أذن بها الله و نصب موازين مختلفة غير ميزان الله و يقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله و حمايته و رعايته يقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بمختلف راياتهم، و شتى مناهجهم، و شتى شرائعهم، و شتى طرائقهم، وبمختلف قيمهم، و شتى مقاييسهم فكلهم أولياء الشيطان ، وان الله يأمر الذين آمنوا أن يقاتلوا اولياء الشياطين و لا يخشوا مكرهم [١] .

وقد وردت احاديث نبوية شريفة ترغب و تحث أهل الإيمان على الجهاد وترغب في الجزاء الآخروي وثوابه عز وجل: قال رسول الله (ﷺ) (مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ الله فَتَمَسهُ النَّار)[٢] . وقَوْلُهُ (ﷺ) (مَنِ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [٣] .

وبناء على ما تقدم نجد أن الآراء التي وردت في بيان الآية المباركة تبين ان الاية قارنت بين أهل الأيمان الذين يقاتلون في سبيل الله وطاعتة وشريعته والذي يقاتل في سبيله هو الغالب والله سبحانه وتعالى هو الذي ينصره ، وبين الكافر الذي يقاتل في سبيل الطاغوت فهو المغلوب بأذن الله سبحانه وتعالى .

المطلب الثاني / المقارنة بين المتخلفين من المؤمنين من غير اولي الضرر وما بين المجاهدين في سبيل الله .

قال تعال ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) [٤] .

---

[١] ظ : في ظلال القرآن، ٢ / ٧٠٩ .

[٢] محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ٢ / ١١٨ .

[٣] النووي، محيي الدين يحيى بن شرف ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٣ / ٤٩ .

[٤] النساء : ٩٥ .

ذكر الواحدي في اسباب نزول هذه الآية (اخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى قَالَ :أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مطر قال: أخبرنا أَبُو خَلِيفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ"دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا، فَجَاءَ بِكَتِفٍ وَكَتَبَهَا، فَشَكَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ،فَنَزَلَت الآية) [١] .

وذكر الطوسي في تفسيره ان الله بين انه (لا يستوي) و معناه لا يعتدل القاعدون يعني المتخلفون عن الجهاد في سبيل اللَّه من أهل الايمان باللَّه و برسوله المؤثرون الدعة * و الرفاهية على مقاساة الحر و المشقة بلقاء العدو، و الجهاد في سبيله إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم، و غير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضرار الذي بهم) [٢] . قال ابن عطية (وأولو الضرر هم أهل الأعذار إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد. قاله ابن عباس و غيره) [٣] .وأردفه صاحب الميزان في بيان معنى قوله تعالى (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ الى قوله وَ أَنْفُسِهِمْ) الضرر هو النقصان في وجود المانع من القيام بأمر الجهاد و القتال كالعمى و العرج و المرض، و المراد بالجهاد بالأموال اي أنفاقها في سبيل الله للظفر والنصر على أعداء الدين [٤]

وبين وهبة الزحيلي في بيان المعنى وتقرر الآية أنه لا مساواة في الشرع و العقل بين المؤمنين المجاهدين بأموالهم و أنفسهم و بين القاعدين بأنفسهم، المتكاسلين حرصا على الراحة و النعيم و البعد عن المخاطر و التضحيات [٥] .

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى (وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهو منهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا و المستفرغون جهدهم و وسعهم في قتال أعداء الله و إعزاز دينه "بِأَمْوالِهِمْ"إنفاقا لها فيما يوهن كيد الأعداء "وَ أَنْفُسِهِمْ" حملا لها على الكفاح في اللقاء) [٦] .

---

[١] أسباب نزول القرآن ، ١٧٦ .

* رَجُلٌ مُتَّدِعٌ أَي صاحبُ دَعَةٍ وراحةٍ ابن منظور ، لسان العرب ،٨ / ٣٨١ .

[٢] التبيان ، ٣ / ٣٠٠ .

[٣] ابن عطية ، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز،٢ / ٩٨ .

[٤] الطباطبائي ، الميزان ، ٥ / ٤٥ .

[٥] الوسيط ، ١ / ٣٦٦ .

[٦] ظ: مجمع البيان ، ٣ / ١٤٨ .

وأشار الزمخشري الى معنى اولي الضرر و الضرر: المرض، أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها [١] . وذكر سيد قطب هنا يبين الله طبيعة عدم الاستواء بين الفريقين [٢] .

اذ وردت في القران مقارنة صريحة بين القاعدين عن الجهاد ومابين الفئة المقابلة لهم ونفي التساوي بينهم وهم المجاهدون حيث افتتحت الآية الكريمة بأداة النفي (لا) [٣] .

ويرى صاحب الأمثل في تفسير قوله تعالى (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ) في الآية مسألة التفاضل بشكل أوضح و أكثر صراحة ، و تؤكد في نهاية المقارنة، أنّ الله وهب المجاهدين أجرا عظيما [٤] .

وفي نطاق بيان الأجر ومقداره عند الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمجاهدين في سبيله كما في قوله (...أَجْراً عَظِيماً) ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات، في غرف الجنان العاليات، و مغفرة الذنوب و الزلات، و حلول الرحمة و البركات، إحسانا منه و تكريما [٥] . وذكر ابن عاشور جمع دَرَجاتٍ لإفادة تعظيم الدرجة لأنّ الجمع لما فيه من معنى الكثرة تستعار صيغته لمعنى القوّة [٦] .

وبناء على ماسبق فقد قارنت الآية الكريمة بين القاعدين الذين لاعذر من المؤمنين وبين المجاهدين بالمال و النفس في سبيل الله ونفي المساواة فيما بينهم وان الله سبحانه وتعالى فضلهم بأعلى درجات الاجر ولكي يحثهم على الجهاد ،وقد بين الله سبحانة وتعالى بان القاعدين والمجاهدين لايستويان وهذه مقارنة صريحة حيث ذكرت الاية الكريمة القاعدين مقارنة بالمجاهدين.

المطلب الثالث / المقارنة بين الذين يشرون الحياة الدنيا الزائلة مقارنة بثمن بالآخرة .

قال تعالى((فليقاتل فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ

---

[١] ظ : الكشاف ، ١ / ٥٥٣ .

[٢] فى ظلال القرآن ،٢ / ٧٤٠ .

[٣] محيي الدين درويش، إعراب القرآن و بيانه ، ٢ / ٣٠١ .

*قال ابن فارس : "و دَعَ : الْوَاوُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى التَّرْكِ وَالتَّخْلِيَةِ ، وَمِنْهُ الدَّعَةُ ،وَرَجُلٌ مُتَّدِعٌ :صَاحِبُ رَاحَةٍ " ، مقاييس اللغة ، ٦ / ٩٦ .

[٤] ظ: ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ،٣ / ٣٩٧ .

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٣٤٣ .

[٦] ظ : التحرير و التنوير، ٤ / ٢٣٠ .

يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) [١] .

لقد وردت في السورة المقارنة بين الذين يشترون الحياة الدنيا الزائلة مقارنة بثمن الآخرة وقد رغب القرآن الكريم في القتال للذين يقتلون بأن لهم أجراً عظيماً .

قال الطبري (يعني الذين يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة و ما وعد الله أهل طاعته فيها و بيعهم إياها بها إنفاقهم أموالهم في طلب رضا الله، كجهاد من أمر بجهاده من أعدائه و أعداء دينه، و بذلهم مهجهم له في ذلك. أخبر جل ثناؤه بما لهم في ذلك إذا فعلوه يقال: شريت بمعنى بعت. و اشتريت: ابتعت. و يشرون: يبيعون في قول الحسن، و السدي، و ابن زيد) [٢] .

و بين الطبرسي في تفسيره أي أن الذين يبيعون الحياة الزائلة بالحياة الباقية و يبيعون الحياة الدنيا بنعيم الآخرة أي يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بتوطين أنفسهم في الجهاد في سبيل الله و بيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة [٣] .

وفي بيان قوله تعالى (... سبيل الله) ذكر الطوسي ان في معناها قولين :

الاول : طاعة الله، لأنها تؤدي إلى ثواب الله في جنته التي أعدها لأوليائه.
الآخر: إنه دين الله الذي شرعه الذي يؤدي إلى ثوابه و رحمته [٤] .

وذكر الفخر الرازي في بيان معنى (أن يَشْرُونَ) فيها معنيان [٥].

احدهما : يبيعون فكان معنى الآية: فليقاتل في سبيل الله الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة

و الثاني: ان معنى (يَشْرُونَ) أي يشترون و المخاطبون بهذا الخطاب هم المنافقون الذين تخلفوا عن أحد .

---

[١] سورة النساء : ٧٤ .
[٢] الطبري، جامع البيان ، ٥ / ١٠٦ .
[٣] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ١١٦ .
[٤] التبيان ، ٣ / ٢٦٠ .
[٥] ظ : مفاتيح الغيب ، ١٠ / ١٤٠ .

واوضح ابن كثير كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة و أجر جزيل، ولقد تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه سوف يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة [١] .

وذكر سيد قطب فالحياة الدنيا أو الغنيمة لا تساوي شيئا إلى جانب الفضل العظيم من الله سبحانه وتعالى كما يتجه إلى تنفيرها من الصفقة الخاسرة إذا هي اشترت الدنيا بالآخرة و لم تشتر الآخرة بالدنيا و لفظ يشري من ألفاظ الضد فهي غالبا بمعنى يبيع فهي خاسرة سواء غنموا أو لم يغنموا في معارك الأرض[٢].

وبناء على ذلك يبدو من آراء المفسرين أن الآية الكريمة بينت الذين يشترون الأخرة بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله مقارنة بالحياة الدنيوية التي لا تساوي شيئا الى فضله عز وجل وقد وعد الله المجاهدين سبحانه وتعالى بأن لهم الجنة والثواب الجزيل .

[١] ظ : تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٣١٤ .

[٢] ظ: في ظلال القرآن ، ٢ / ٧٠٨ .

المبحث الرابع

المقارنة في التوبة المقبولة وعدمها .

قال تعالى ((وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۞ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) [١] .

التوبة في اللغة: قال ابن فارس: (الرُّجُوعِ ؛ يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ أَيْ رَجَعَ عَنْهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا، فَهُوَ تَائِبٌ) [٢] .والتَّوْبُة ترك الذنب على أجمل الوجوه [٣] .

والتَّوْبَةُ في الشرع :ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت شرائط التوبة الأربع وهي ترك الذنب ، والندم ، والعزيمة ، وتدارك ماامكن تداركه [٤] .

في حين يرى العسقلاني أن (شروط التوبة ثلاثة الاقلاع والندم والعزم على أن لا يعود للذنب) [٥] .

التوبة في الاصطلاح (هي الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحةُ) [٦] . ويعرفها الآملي (هي الرجوع إلى الله بعد الإعراض عنه أو الرجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف عنه)[٧] .

وتعرف كذلك بأنها (هي الرجوع إلى امر الله تعالى وإلى أوامر دينه بعد الانحراف عنها)[٨] .

---

[١] النساء : ١٧ – ١٨ .

[٢] معجم مقاييس اللغة ، ١ / ٣٥٧.

[٣] الراغب الأصفهانى ،المفردات ، ١٦٩ .

[٤] م – ن ١٩٦ .

[٥] ابن حجر العسقلاني، شهاب احمد بن علي ، فتح الباري ، ٣٩٣.

[٦] الجرجاني ،التعريفات ، ٧٠ .

[٧] الآملي، محمد تقي، مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى ، ٥ / ١٣٩١ .

[٨] محمد عبد الزهرة، زهرة التفاسير، ٣ / ١٦١٣ .

ويبدو من خلال أقوال الاصفهاني والعسقلاني أنهم وضعوا شروطا للتوبة وهي بمجملها شروطا متكاملة للتوبة والواجب ان يعمل عليها التائب .

ذكر الطبرسي في تفسيره ان أصل التوبة الرجوع الى الله و حقيقتها الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح و قيل يكفي في حدها الندم على القبيح و العزم على أن لا يعود إلى مثله ، "إِنَّمَا "يراد به النفي و الإثبات اي لا توبة مقبولة عَلَى اللَّهِ أي عند الله إلا (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ) ثم بين تفسيره لمعنى قوله تعالى :(وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ) أي التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها "لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ " أي المعاصي و يصرون عليها و يسوفون التوبة "حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ " أي أسباب الموت من معاينة ملك الموت [١] .

وتباينت الآراء في المراد في الجهالة في الآية الكريمة ذكر الطوسي ثلاثة أقوال [٢] .

الاول : قال مجاهد، و قتادة، و ابن عباس، و عطاء و ابن زيد: هو أن يفعلوها على جهة المعصية لله تعالى، لأن كل معصية لها جهالة، لأنه يدعو اليها الجهل، و يزينها للعبد، و إن كانت عمدا.

الثاني : بجهالة، أي بحال كحال الجهالة، التي لا يعلم صاحبها ما عليه في مثلها من المضرة

الثالث : قال الفراء: معني (بجهالة) أي لا يعلمون كل ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشيء ضرورة

وذكر الطبرسي الاقوال الثلاثة ايضاً في الدلالة نفسها [٣] .

الاول: يراد بها المعصية بحسب ما نقل ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وعطاء وقتادة .

الثاني : أنهم لا يعلمون ما فيه من العقوبة.

الثالث : أنهم يجهلون أنها ذنوب و معاص فيفعلونها

قال مجاهد و الضحاك: هي العمد.

---

[١] ظ: الطبرسي، مجمع البيان ، ٣ / ٣٧ .
[٢] التبيان ، ٣ / ١٤٥ .
[٣] م – ن ، ٣ / ٣٦ .

و قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب و لكنه جهل عقوبته.

و قال سائر المفسرين: يعني المعاصي كلها، فكل من عصى ربّه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته[١]

أجمع أصحابُ رسول اللَّهِ محمد (ﷺ) على أنَّ كلَّ من عصى ربَّه فهو جاهلٌ جهالةً ، عمدًا كان أو لم يكنْ [٢] .

ويرى الباحث ان المراد بالجهالة ان كل ذنب يعمله العبد فهو جاهل عن الصّادق (عليه السلام) (فِی قَوْلِ اللَّهِ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ" يَعْنِی كُلَّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْعَبْدُ وَ إِنْ كَانَ بِهِ عَالِماً فَهُوَ جَاهِلٌ حِينَ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ فِی مَعْصِيَةِ رَبِّهِ وَ قَدْ قَالَ فِی ذَلِکَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى يَحْكِی قَوْلَ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ فَنَسَبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ لِمُخَاطَرَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِی مَعْصِيَةِ اللَّهِ) [٣] .

وذكر الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة ان التوبة التي لا تكون مقبولة على من حضره الموت و شاهد أهواله فان توبته غير مقبولة، و هذه المسألة مشتملة على عدة وجوه تدل على أن التوبة غير مقبولة:

الوجه الأول قال تعالى ((فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا)) [٤] .

الآخر: قال تعالى بصفة فرعون ((حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)) [٥]. فلم يقبل الله سبحانه توبته عند مشاهدة العذاب، و لو أنه أتى بذلك الايمان قبل تلك الساعة بلحظة لكان مقبولا.

ثالثا: قوله تعالى:(حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها)[٦]. رابعا: قوله تعالى : وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

---

[١] الثعلبي النيشابوري، أحمد بن إبراهيم ، الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، ٣ / ٢٧٣ .

[٢] الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، روائع التفسير ،٢ / ١٢١ .

[٣] البحراني، هاشم بن سليمان بن اسماعيل ، البرهان في تفسير القرآن ، ٢ / ٤٥ .

[٤] المؤمنين : ٨٥ .

[٥] يونس: ٩٠- ٩١ .

[٦] المؤمنون ٩٩ – ١٠٠ .

فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها [١] . وينقل الفخر الرازي كذلك عن بعض المحققين في مسألة قبول التوبة قبل الموت(قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبول التوبة مشاهدة الأحوال التي عندها يحصل العلم بالله سبحانه تعالى على سبيل الاضطرار)[٢] .وسبقه الطبري فقال (أن التوبة لا تقبل عند حضور الموت[٣]) .

وبذات الصدد الدلالي للتوبة يذهب الطبري الى أنها ليست التوبة للذين يرتكبون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله سبحانه وتعالى ، حتى إذا حضر أحدهم الموت، يقول: إذا حشرج * أحدهم بنفسه، و عاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه قال: و قد غلب على نفسه، و حيل بينه و بين فهمه بشغله بكرب حشرجته و غرغرته [٤] .

وبين ابن كثير ان المانع من قبول التوبة أن الإنسان عند القرب من الموت إذا شاهد أحوالا و أهوالا صارت معرفته بالله ضرورية عند مشاهدته تلك الأهوال، فسقط التكليف عنه ذلك لان صارت معرفته بالله ضرورية إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب و لو قبل معاينة الملك روحه قبل الغرغرة [٥] .

واوضح القمي في بيان الآية (سواء ممن سوّف التّوبة إلى حضور الموت، من الفسقة و الكفّار، و بين من تاب على الكفر في نفي التّوبة، للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة، و كأنّه قال: توبة هؤلاء و عدم توبة هؤلاء سواء." أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً " تأكيد لعدم قبول توبتهم، و بيان لتهيئة عذابهم، و أنّه يعذّبهم متى شاء)[٦] .

---

[١] المنافقون :١٠ – ١١ .

[٢] ظ : الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ،٨ / ١١.

[٣] جامع البيان ، ٤/ ٢٠٦ .

* حشرج : حشرجَة الموت غرغرة عند الموت ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ١ / ٥٠١ .

[٤] ظ: جامع البيان ، ٤ /٢٠٥ .

[٥] القرآن العظيم ، ٢ / ٢٠٧ .

[٦] محمد بن محمد رضا القمي ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ،٣ /٣٧٥ .

ونفى ابن عطية قبول التوبة بدلالة قوله تعالى(وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أن يدخل في حكم التائبين من حضره موته و صار في حيز اليأس، و حضور الموت هو غاية قربه، كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء و الغرق، فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان [١] .

في حين يذهب محمد جواد مغنية الى ان (الله يقبل من تاب إليه ، على شريطة أن يتوب قبل أن تظهر له أمارات الموت ، أما من تاب ، وهو يساق إلى القبر فلا تقبل توبته ، لأنها توبة العاجز عما يئس من نواله) [٢] .

ويمكن بيان اقوال المفسرين في معاني القرب :

اولا :" من حضره الموت و شاهد أهواله "[٣] ثانياً:" حضور الموت هو غاية قربه "[٤] .ثالثاً: "قَبْلَ الْمُعَايَنَةِ الْمُعَايَنَةِ لِلْمَلَائِكَةِ وَالسَّوْقِ" [٥] .رابعاً: "إذا شاهد أحوالا و أهوالا صارت معرفته بالله ضرورية "[٦] .خامسا .خامسا : اذا ظهرت أمارات الموت [٧] .

ويمكن القول مما سبق ان هذه الآية المباركة قارنت بين التوبة الخالصة لله سبحانه وتعالى بشروطها وهي التوبة التي يقبلها الله سبحانه وتعالى وبين التوبة المرفوضة ,وفيها التمادي على ارتكاب المحرمات والسيئات لحين ادراك الانسان الموت . فهذه هي التوبة المرفوضة .عن الصادق (عليه السلام) عَنْ جميل بن دراج (قال سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يقول : إِذَا بَلَغَتِ النفس هَاهُنَا وَ أَشَارَ بيده حَلْقِهِ لَمْ يكن لِلْعَالِمِ تَوْبَةٌ ثم قَرَأَ (إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللهِ للذين يعملون السُّوءَ بِجَهالَةٍ) [٨].

---

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٢ / ٢٥.

[٢] مغنية ، الكاشف ،٢/ ٢٧٣.

[٣] المحرر الوجيز ، ٢ / ٢٥ .

[٤]ابن عطية عبدالحق بن غالب ، المحرر الوجيز ،٢ / ٢٥.

[٥] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٩٢ .

[٦] م – ن ،٣ /٣٧٥ .

[٧] ظ : محمد جواد مغنية ، الكاشف ، ٢/ ٢٧٣ .

[٨] القمي، عباس منازل الآخرة والمطالب الفاخرة ، ١ / ١٢٣، رفيع الدين محمد ابن النائيني ، الحاشية على أصول الكافي ،١٥٨ ، الفيض الكاشاني ، الصافي ، ١ / ٤٣٢ .

المبحث الخامس

المقارنة بين الشفاعة الحسنة وبين الشفاعة السيئة .

الشفاعة لغةً: قال ابن فارس مصدر من مادة شفع و الشِّينُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ الشَّيْئَيْنِ) [١] .

والشفاعة اصطلاحاً :(هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه) [٢]

وقد وردت لفظة الشفاعة في القرآن وفي السنة النبوية قال تعالى ((لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)) [٣]، وفي موضع آخر قال تعالى ((قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [٤] وفي موضع آخر ايضا قال تعالى ((وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [٥] .

ويدل على ما ذكرنا ما ورد في سورة النساء بخصوص الشفاعة الحسنة والسيئة قال تعالى ((مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا))[٦] .

ذكر الطوسي في تفسيره في بيان الآية الكريمة في معنى الشفاعة قولان:

أحدهما :الشفاعة الحسنة وهي الدعاء للمؤمنين.

الآخر: الشفاعة السيئة هي الدعاء عليهم، والشفاعة هي مساءلة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسألته ، قال به الحسن، و مجاهد، وقال ؛ ابن زيد ان حقيقة الشفاعة هي المسألة في إسقاط

---

[١] معجم مقاييس اللغة ، ٣ / ٢٠١ .
[٢] الجرجاني ،التعريفات ، ١٢٧ .
[٣] مريم : ٨٧ .
[٤] الزمر :٤٤ .
[٥] الزخرف : ٨٦ .
[٦] النساء: ٨٥ .

الضرر[١] . وقال الطبرسي (أن أصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد شفعه أي صار ثانيه و منه الشفيع في الملك لأنه يضم ملك غيره إلى ملك نفسه) [٢] .

و ذكر القرطبي انه اختلف التأويل في هذه الآية، هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، و من يشفع ليضر فله كفل. قال مجاهد و الحسن و ابن زيد و غيرهم أن الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، و السيئة في المعاصي ، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، و من سعى بالنميمة والغيبة أثم، وهذا قريب من الأول، و قيل: يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، و السيئة الدعاء عليهم [٣] .

وورد عن النبي الأكرم (ﷺ) قال (من دعا بظهر الغيب استجيب له و قال الملك آمين ولك بمثل) [٤]، و وصفها بالحسنة وصف كاشف لأنّ الشفاعة لا تطلق إلّا على الوساطة في الخير، و أمّا أمّا إطلاق الشفاعة على السعي في جلب شرّ فهو مشاكلة، و قرينتها وصفها بسيّئة إذ لا يقال (شفع) للذي سعى بجلب سوء، و النصيب: الحظّ من كلّ شيء خيرا أم شرا، و تقدّم في قوله ((أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا))[٥] و(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)) [٦] . فَقَالَ (إِنَّ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)[٧] .اما الحسنة فالأصل من الحُسْنُ، فهو نقيض القُبح والحَسَنَةُ خلافها السيّئة [٨] ، والحسنة هو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل [٩] . وتقابل الشفاعة الحسنة الشفاعة السيئة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى : ((وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ

---

[١] ظ : التبيان ، ٣ / ٢٧٦ – ٢٧٧.

[٢] مجمع البيان ، ٣ / ١٢٩ .

[٣] ظ: جامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٢٩٥ .

[٤] القشيري ، مسلم بن الحجاج بن مسلم ، صحيح مسلم ، ٨ / ٨٦ .

[٥] البقرة : ٢٠٢ .

[٦] الأنبياء: ٢٨ .

[٧] البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، البعث والنشور، ٥٥ .

[٨] ظ : الجوهري ، الصحاح ، ١٠٠٩ .

[٩] الجرجاني ، التعريفات ، ٨٧ .

سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ))[١] ، و أنكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع غير الله ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها لا تضرهم و لا تنفعهم و لا تملك شيئا، و لا يقع شيئٌ مما يزعمون [٢] .

وفي بيان قوله تعالى(... يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا...) قال الآلوسي (أي نصيب من وزرها) [٣] .

ذكر ابن عاشور يستعمل الكفل بمعنى المثل، فيؤخذ من التفسيرين أنّ الكفل هو الحظّ المماثل لحظّ آخر [٤] . وفي بيان قوله تعالى (... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا) قال الفخر الرازي في "المقيت" قولان[٥] :

الأول: المقيت القادر على الشيء .

القول الثاني : المقيت هو الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة. و أي المعنيين كان فالتأويل صحيح وقال محمد حسين فضل الله (أي مقتدرا) [٦] ، تأيداً للقول الأول

وخلاصة القول ان الآية الكريمة قارنت بين الشفاعة الحسنة وهي الشفاعة المشروعة ولاتطلق الا العمل الخير والتي تدعوا الى التقوى وقد ذكر القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي أشارت إليها وبين الشفاعة السيئة وهي الشفاعة التي تكون محرمة وقد أشار اليها القرآن الكريم وهي الشفاعة القبيحة كالنميمة والغيبة .

---

[١] سورة يونس : ١٨ .

[٢] ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٢٢٤ .

[٣] روح المعاني ، ٣ / ٩٣ .

[٤] التحرير و التنوير، ٤ / ٢٠٥ .

[٥] مفاتيح الغيب ١٠، / ١٦٠ .

[٦] من وحي القرآن ، ٧ / ٣٨١ .

الفصل الثاني

إمكانية تحديد موارد المقارنة في بعض آيات الأحكام

في منظور أقوال الفقهاء

- المبحث الأول : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في العبادة
- المبحث الثاني : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في المعاملات
- المبحث الثالث : الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في الجنايات

توطئة :

لقد وردت في السورة عدة آيات في نطاق الأحكام فيها مقارنات صريحة وايحائية أشارت الى ضرورة الحفاظ على أموال اليتامى وارجاعها الى اصحابها وعدم تبديل الخبيث من الأموال بالمال الطيب ، وبينت ايضا بعض الأحكام الخاصة بالنساء في حيثيات حقوق النساء الخاصة بالإرث بين الرجل وبين المرأة ،وكما بينت حق النسب ، وتناولت الآيات كذلك الديات المترتبة على القتل الخطأ والقتل العمد فضلا عن قضايا تشريعية أخرى .

وان القرآن الكريم هو جوهر التشريع الذي يحدد الحلال من الحرام وهو المرجع الاول للفقه الاسلامي كونه يمثل دستور الأمة الذي يشار إليه في كل واقعة وهو يوجه الناس إلى اتباع السبل النافعة في الحصول على المصالح الكلية وردع المفاسد، والذي انزله الله سبحانه على نبي الرحمة محمد (ﷺ) قال تعالى((وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقاب)) [1] . وقد فَصّلَ القرآن الكريم الآيات المتعلقة بالأحكام و الخاصة في هذه السورة من المواريث والحدود والديات وحق اليتيم وقضايا الأحكام الشرعية الاخرى .

[1] الحشر : ٧ .

المبحث الأول

الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في العبادة :

قال تعالى ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)) [١] .

بينت الآية الكريمة الحق الارثي للرجل و المرأة وهو بحد ذاته يستدل به على وجود المقارنة سيماوأن هنالك فرقاً بين حق الرجل وحق المرأة في الارث ، فضلاً عن ذلك حددت الأحكام الخاصة بالنساءفي حيثيات حقوقهن المتعلقة بالارث وكيف أمر الله سبحانه بحفظ حقوق النساء مقارنة بما كان في ايام عرب الجاهلية وتفاوت الإرث بين الرجل والمرأة بعدة حالات حيث وردت هذه الاحكام بآيات من السورة [٢]. تشير الى هذه الحالات فيتساوى الميراث في بعض الحالات وفي حالة اخرى يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل كما ورد في السورة ، هذا وقد وردت في السورة المباركة مقارنة إيحايئية في آيات عدة بين حقوق الميراث للرجل والمرأة قبل الاسلام وبين حقوق الميراث للرجل والمرأة في الإسلام .

تعددت الاقوال في أسباب نزول هذه الآية المباركة الى قولين [٣] .

الأول: روي عن ابن عباس والسدي أن سبب نزولها، أن القوم لم يكونوا يورثون النساء و البنات و البنين الصغار، و لم يورثوا إلا من قاتل و طاعن، فأنزل الله الآية، و أعلمهم كيفية الميراث.

الآخر: نقل عن ابن عباس أيضاً وعطاء ، و ابن جريج، عن مجاهد، إنهم كانوا يورثون

وروي عن ابن عباس أنه قال: كان المال للولد، و الوصية للوالدين و الأقربين .

---

[١] النساء :١١ .

[٢] سورة النساء : ٢، ٤ ،٧، ١٢، ١١، ٢٣ – ٢٤ ، ١٧٦ .

[٣] الطوسي، التبيان ، ٣ / ١٢٩ .

وذكر الطوسي ان الوصية فرض من الله قال تعالى ((وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِه)) [١] . يعني: فرض عليكم[٢] .

المطلب الأول / زيادة الإرث للرجل مقارنة بالمرأة .

أ – قال تعالى (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) [٣] .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الميراث اذا كانوا الورثة ذكورا وإناثا فللذكر مثل حظ الأنثيين [٤]. وفي هذه الحالة يكون نصيب الذكر سهمين مقارنة بنصف نصيب الرجل للمرأة ، هذا وقد أوضح الفخر الرازي هذا بأنه يفيد أحكاماً ثلاثة [٥] .

اولاً: إذا خلّف الميت ذكرا واحدا و أنثى واحدة فيكون نصيب الذكر سهمان و للأنثى سهم .

ثانياً : إذا كان الوارث جماعة من الذكور و جماعة من الإناث كان لكل ذكر سهمان، و لكل أنثى سهم.

ثالثاً : إذا حصل مع الأولاد جمع آخرون من الوارثين كالأبوين و الزوجين فهم يأخذون سهامهم، و **كان** الباقي بعد تلك السهام بين الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين . قال تعالى ((وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)) [النساء ١٧٦] .

ب – قال تعالى (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ)وفي هذه الآية ترث المرأة نصف ما يرثه الرجل ففي هذه الآية الكريمة ترث المرأة نصف ما يرثه الرجل ايضا ان لم يكن للميت (ولد) مطلقا (وورثه ابواه) معاً لا احدهما لا نه لو كان الوارث واحدا منهما فان كان الاب فالمال كله له ، وان كان الام كان لها الثلث تسمية والباقي يرد عليها فالغرض هنا بيان صورة اجتماع الأبوين (فلامه الثلث ، أي مما ترك ولم يذكر حصة الاب هنا لأنه ليس بصاحب فرض في هذه الصورة بل له جميع الباقي ، وهذا اذا لم يكن للميت اخوة فان كان له اخوة فلامه السدس [٦] .

---

[١] الانعام: ١٥١.

[٢] ظ: الطوسي، التبيان ، ٣ / ١٢٩ .

[٣] النساء ١١ .

[٤] ظ: القطب الرواندي، فقه القرآن ، ٢ / ٣٢٦ .

[٥] ظ: مفاتيح الغيب ، ٩ /٥١٠ .

[٦] أحمد الجزائري، قلائد الدرر، ٣ / ٣٢٧ .

ج – قال تعالى ((وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ)) [١] .

تضمنت الآية الكريمة المقدار الذي يرثه الرجل مقارنة بالمرأة فترث الزوجه نصف مايرثة الزوج من النصيب :

اولا : يرث الزوج النصف من زوجته وترث الزوجة الربع من زوجها لوجود الولد.

ثانيا : ترث الزوجة الثمن والزوج الربع اذا لم يكون الولد موجود [٢] .

وهنا ترث الزوجة نصف نصيب الرجل في كل حالة ذكرت.

المطلب الثاني: المساواة في النصيب بين الرجل والمرأة .

وقد يتساوى نصيب المرأة مع نصيب الرجل قال تعالى (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ" يعني بالأبوين الأب و الأم و الهاء الذي أضيف إليه الأبوان كناية عن غير مذكور تقديره و لأبوي الميت فللأب السدس مع الولد و كذلك الأم لها السدس معه ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو أكثر [٣] .

فسوّى الله بين كل واحد من الوالدين مع وجود الولد في أن لكل واحد منهما السدس ثم فاضل بينهما مع عدم الولد في أن جعل للأم الثلث و الباقي للأب.

وفي قوله تعالى (فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) فلا خلاف أن الثلاثة من الأخوة يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله، و يكون الباقي بعد سدسها للأب[٤]

وخلاصة القول ان الآية المباركة قارنت مقارنة صريحة بين ميراث الرجل وبين ميراث المرأة،

---

[١] النساء :١٢ .

[٢] مير علي الحائري ، مقتنيات الدرر ، ٣ / ٥٩ .

[٣] الطبرسي ، مجمع البيان ، ٣ / ٢٥ .

[٤] ظ: الماوردي، النكت و العيون ، ١ / ٤٥٨ .

في حالات متعددة فيكون ميراث نصف ميراث الرجل او في حالة أخرى يتساوى الميراث كما ورد في الآية .

المطلب الثالث / المقارنة بين حق الميراث للرجل والمرأة عند عرب الجاهلية وبين حق الميراث في المجتمع الإسلامي :

قال تعالى ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)) [١] .

ولعل أسباب النزول توضح المعنى فقد جاء في أسباب نزولها عند الواحدي (إِنَّ أَوْسَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ تُوُفِّيَ وَتَرَكَ امْرَأَةً يُقَالُ لها(أم كجة) وَثَلَاثَ بَنَاتٍ لَهُ مِنْهَا، فَقَامَ رَجُلَانِ :هُمَا ابْنَا عَمِّ الْمَيِّتِ وَوَصِيَّاهُ، لَهُمَا :سُوَيْدٌ وَعَرْفَجَةُ، فَأَخَذَا مَالَهُ وَلَمْ يُعْطِيَا امْرَأَتَهُ شيئًا وَلَا بَنَاتَهُ،لَا يُعْطَى إِلَّا مَنْ قاتل على ظهور الْخَيْلِ وَحَازَ الْغَنِيمَةَ، فجاءت أم كجة إِلَى رَسُولِ اللَّه –فَقَالَتْ له : إِنَّ أَوْسَ بْنَ ثَابِتٍ مَاتَ وَتَرَكَ عَلَيَّ بَنَاتٍ وَأَنَا امْرَأَتُهُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِنَّ، وَقَدْ تَرَكَ أَبُوهُنَّ مَالًا حَسَنًا وَهُوَ عِنْدَ سُوَيْدٍ وَعَرْفَجَةَ لَمْ يُعْطِيَانِي وَلَا بَنَاتِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا وَهُنَّ فِي حِجْرِي، وَلَا يُطْعِمَانِي وَلَا يَسْقِيَانِي فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقَالَا :يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدُهَا لَا يَرْكَبُ فَرَسًا وَلَا يَحْمِلُ كَلًّا وَلَا يُنْكِي عَدُوًّا فنزلت هذه الآية)[٢] .

لقد وردت في هذه الآية الكريمة المقارنة بين حق الميراث للرجل والمرأة عند عرب الجاهلية وبين حق الميراث بعد دخول الإسلام وسوف نبين ذلك بحسب ما جاء من الآراء الواردة من المفسرين

لقد كان العرب تورث الذكور دون الاناث قال ابن حبيب : " وكانت العرب تورث البنين دون البنات" [٣]وكانوا في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل ويعطونه الأكبر فالأكبر[٤] .

"فلم تكن الزوجة ترث قبل البعثة ، بل على العكس كانت تصير مملوكة للابن الأكبر لزوجها في بعض الاحيان ، وقد تلجا المرأة الى أهلها اذا اسيئ اليها وهم يحمونها ويعطفون عليها ،وعلى الرغم من

---

[١] النساء : ٧ .

[٢] أسباب نزول القرآن ، ١٤٣ .

[٣] الهاشمي ،محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ، المحبر،٢٣٦ .

[٤] ابن حجر العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، ٢/ ١٩٢ .

العطف الذي تتلقاه المرأة ، في أمور كثيرة إلا أنهم كانت من عاداتهم لا يورثوها ، كما لا يورثون الأولاد إلا من حملة السلاح منهم ، اما الصغار والبنات فلا يصيبهم شيئٌ من الإرث ، حتى أنهم اغتاظوا لما نزل الوحي باشتراك البنات في الميراث" [١].

ذكر الطبري (إيجاب الميراث للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه و للإناث منهم حصة منه، من قليل ما خلف بعده و كثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة ، حيث كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء، و كان الكبير يرث وكان الصغيرلا يرث و إن كان ذكرا، فقال الله تبارك و تعالى: لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ أي الكل مشمولين من التركة رجالا كانوا ام نساء من الأولاد او البنات للمتوفي) [٢] ، و قال الرازي (ان الآية بينت أن الإرث غير مختص بالرجال، بل هو أمر مشترك بين الرجال و النساء، ولا اي أعتبار لما كان عند ،أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء و الأطفال، و يقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح و ذاد عن الحوزة و حاز الغنيمة)[٣] . اما الشوكاني فيرى انه (لما ذكر سبحانه حكم أموال اليتامى وصله بأحكام المواريث، و كيفية قسمتها بين الورثة. و أفرد سبحانه ذكر النساء بعد ذكر الرجال، و لم يقل: للرجال و النساء نصيب، للإيذان بأصالتهنّ في هذا الحكم، و دفع ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء) [٤]. وفي الآية كذلك أوضح الثعلبي (ان للذكور من أولاد الميت و أقربائه حظاً و سهماً من الميراث، و الإناث لهن حصّة من الميراث. "مَّا قَلَّ مِنْهُ المال أَوْ كَثُرَ نَصِيباً" مَفْرُوضاً أي حظاً واجبا و معلوماً) [٥] .

وذكر محمد حسين فضل الله أن الله سبحانه وتعالى فرض الميراث للرجال و للنساء، فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ايضا أن يجري الرجال مجراهنّ في المنع من الميراث ، فكما أن الطبقة المتأخرة من الرجال لا يشاركون الطبقة المتقدمة، و الإخوة لا يشاركون الأولاد، فكذلك الأمر في النساء، فلا مجال لمشاركة إخوة الميت للبنات، أو الأعمام و الأخوال للأخوات [٦] .

---

[١] حميد مصطفى ناجي ، مظاهر العنف ضد المرأة عند العرب قبل الإسلام ، جامعة الكوفة كلية الآثار ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار العدد ٧٥ / حزيران، ٢٠٢٠ ، ٥٧٧ .

[٢] جامع البيان ، ٤ / ١٧٦ .

[٣] مفاتيح الغيب ، ٩ / ٥٠٢ .

[٤] الشوكاني، فتح القدير ، ١/ ٤٩٣ .

[٥] الثعلبي ، الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، ٣ / ٢٦١ .

[٦] ظ : من وحي القرآن ، ٧ / ٩٢ .

خلاصة القول ان الآية المباركة قارنت بين الحقوق من التركة للرجل والمرأة قبل دخول الأسلام حيث كانوا يحرمونها من التركات وكانت للرجل دون المرأة مقارنة بالدين الاسلامي الذي جاء بأمر من الله سبحانه وتعالى وأن الأرث غير مختص بالرجال فقط بل ان للمرأة نصيباً مع الرجل ولم ينقص من شئنها وأعطى مكانة للمرأة وان لها نصيباً من الميراث .

المطلب الرابع / المقارنة في الكلالة من جهة الأم وبين الكلالة من جهة الأب في الارث .

وردت في السورة الكريمة المقارنة في الكلالة من جهة الأم وبين الكلالة من جهة الأب قال تعالى((وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)) [١] .

وعرفت الكلالة بتعريفات عدة منها ما ذكره ابن منظور" من أن الكَلالة الرَّجُلُ الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ" [٢]، و قال الجوهري : (الكَلُّ :الذي لا ولد له ولا والد .يقال منه :كل الرجلُ يَكِلُّ كَلالةً، والعرب تقول :لم يرِثْهُ كلالةً، أي لم يرِثْهُ عن عُرُضٍ، بل عن قُرْبٍ واستحقاقٍ)[٣] . والكلالة :اسم لمن عدا الولد والوالد وقال ابن عباس :اسم لمن عدا الولد)[٤] .

وذكر الزمخشري ان الكلالة تطلق على ثلاثة: [٥] .

١ – على من لم يخلف ولداً و لا والداً،

٢ – من ليس بولد و لا والد من المخلفين

٣– القرابة من غير جهة الولد و الوالد

وأوضح الطبرسي انه اختلف اهل التأويل في معنى الكلالة على أقوال ثلاثة[٦] .

---

[١] النساء : ١٢ .

[٢] لسان العرب ، ١١ / ٥٩٢ .

[٣] الصحاح ، ٥ / ١٨١١ .

[٤] الراغب الأصفهاني ، تفسير الراغب الأصفهاني ، ٣ / ١١٣٠ .

[٥] الكشاف ، ١ / ٤٨٥ .

[٦] الطبرسي، مجمع البيان ، ٣ / ٢٩ .

احدها : انهم عدا الوالد و الولد ، جماعة من الصحابة و التابعين منهم أبو بكر و عمر و ابن عباس عنه و قتادة و الزهري و ابن زيد .

الثاني :انهم من عدا الوالد ،عن ابن عباس.

الثالث : اسم الميت الذي يورث عنه ، الضحاك و السدي.

و المذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم .

وفي بيان قوله تعالى (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) ذكر الطبرسي جعل الله للذكر و الأنثى هاهنا سواء و لا خلاف بين الأمة أن الإخوة و الأخوات من قبل الأم متساوون في الميراث [١]

وهنا الميراث يقسم على رؤوس الورثة بالتساوي دون تفصيل بين الذكر والانثى .

وذكر الحائري في بيان معنى قوله (غَيْرَ مُضَارٍّ) أي لم يكن قصده إضرار الورثة بأن يوصي زائدا عن الثلث لإضرارهم أو يقرّ بدين كاذب لحرمان الورثة [٢] .

وقوله تعالى "وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ " أي لا يضار وصية من الله و هو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث، أو وصية من الله بالأولاد لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وَ اللَّهُ "عَلِيمٌ" بمن جار في وصيته أو عدل" حَلِيمٌ "عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة "[٣] .

اما هذه الآية فتبين الكلالة من الاخوة الاشقاء او لأب.

قال تعالى ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [٤] .

---

[١] مجمع البيان، ٣/ ٢٩ .

[٢] مير علي الحائري ، مقتنيات الدرر ،٣ / ٦٠ .

[٣] النيشابوري، تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ٢ / ٣٧١ .

[٤] النساء : ١٧٦ .

اختلفت الأقوال في سبب النزول للآية المباركة فقال سعيد بن المسيب:(سأل عمر النبي محمد (ﷺ) عن الكلالة، فقال: ا ليس قد بين الله ذلك؟ قال: فنزلت يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)[1] .

و قال جابر بن عبد الله(اشتكيت و عندي تسع أخوات لي أو سبع، فدخل عليّ النبي (ﷺ)

فنفخ في وجهي، فأفقت. فقلت: يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: احسن، ثم خرج و تركني، و رجع الي فقال: يا جابر اني لا أراك ميتاً من وجعك هذا، و ان الله عز و جل قد أنزل في الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين فنزلت هذه الآية) [2]

وأوضح القطب الراوندي في معنى الكلالة ان الانسان اذا مات وليس له ولد ذكر او أنثى " وله أخت " يعني: وللميت أخت لأبيه وأمه أو لأبيه " فلها نصف ما ترك " والباقي رد عليه أيضا سواء كان هناك عصبة أو لم يكن والعصبة : هم العم ،وابناء العم، وأبناء الأخ [3] .

وذكر المقداد السيوري في بيان قوله تعالى (وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ"دلالة على بطلان قول العامّة بارث الأخ النصف مع البنت لأنّه شرط في إرثه انتفاء الولد، و البنت ولد بدليل قوله (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) فلا يكون الأخ وارثا مطلقا حينئذ لأنّ المشروط عدم عند عدم شرطه، فلو ورث النصف لزم مخالفة الكتاب [4] .

وذكر سيد قطب ان الآية تستكمل الشطر الآخر في وراثة الكلالة وفق التقسيم الآتي :

١ – فإن كانت للمتوفى، الذي لا ولد له و لا والد، أخت شقيقة أو أب، فلها نصف ما ترك أخوها ، و هو يرث تركتها بعد أصحاب الفروض إن لم يكن لها ولد و لا والد كذلك .

٢ – . فإن كانتا أختين شقيقتين أو لأب فلهما الثلثان مما ترك.

---

[1] الطوسي، التبيان ، ٣ / ٤٠٨ .

[2] م – ن ، ٣ / ٤٠٨ .

[3] ظ: القطب الراوندي ، فقه القرآن ، ٢ / ٣٣٨ – ٣٣٩ .

[4] كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ٣٣٤ .

٣ – إن تعدد الإخوة و الأخوات فللذكر مثل حظ الأنثيين يحسب نحو القاعدة العامة في الميراث و الإخوة و الأخوات الأشقاء يحجبون الإخوة و الأخوات لأب حين يجتمعون[١] .

وذكر محمد حسين فضل الله أثيرت عدة أسئلة حول الحكم الشرعي في مضمون الآية هي :

- كيف يكون الإرث إذا مات انسان و ليس له ولد و لا والد كذلك ، سواء كان ذكرا أو أنثى و له أخت، أو أخت ماتت و ليس لها ولد، ؟ و الجواب، أن لها نصف التركة .
- و يأتي السؤال ليطرح فرضا آخر: و هو إذا ما ترك الميت أختين؟ الجواب: إن لهما ثلثي التركة.

وفي الفرض الثالث، وهو إذا ما ترك إخوة متعددين رجالا و نساء؟ الجواب: إن للذكر مثل حظ الأنثيين [٢] .

وبناء لما سبق فقد بينت الآية المباركة المقارنة بين الميراث الذي يكون كلالة من جهة الاب مقارنة بالكلالة الواردة في السورة قوله تعالى ((وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَمُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)) [٣] . ومقدار الميراث لكل من الكلالتين .

المطلب الخامس:المقارنة في أموال الخبيث والطيب المتعلقة في حق اليتيم

قال تعالى ((وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)) [٤] .

ووردت في سورة النساء لفظ الطيب والخبيث ولكي يتضح معالم المعنى للمفردة سوف نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للوصول للمقصد الدلالي لها .

---

[١] في ظلال القرآن ، ٢ / ٨٢٤ .

[٢] من وحي القرآن ، ٧ / ٥٦٤ .

[٣] النساء : ١٢

[٤] سورة النساء:٢ .

المطلب السادس: الخبيث في اللغة والاصطلاح :

اولاً :الخبيث لغةً :

قال ابن فارس (خَبُثَ الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الطَّيِّبِ ، يُقَالُ خَبِيثٌ، أَيْ لَيْسَ بِطَيِّبٍ)[١]. وقال ابن منظور (خَبُثَ الشيءُ يَخْبُثُ خَباثَةً وخُبْثاً، فَهُوَ خَبيثٌ، وَبِهِ خُبْثٌ وخَباثَةٌ وأَخْبَثَ، فَهُوَ مُخْبِثٌ إِذا صَارَ ذَا خُبْثٍ وشَرٍّ) [٢] .

ثانياً : الخبيث في الأصطلاح :

عرفه الراغب الأصفهاني (الخُبْثُ والخَبِيث و الخبيث ما يكره رداءة وخساسة، محسوسا كان أو معقولا وأصله الرّديء) [٣] .

وقال التهاوني الخبيث (بالضم وسكون الموحّدة هو النجاسة الحقيقية) [٤] .

و قال الراغب الاصفهاني (الخبيث والطيّب) عبارتان عن الحرام والحلال، أي تدفعوا إليهم شيئًا هو طيّب لكم، وتأخذوا من مالهم ما هو خبيث لكم) [٥] ،وذكر الفراء في معنى الآية أي لا تأكلوا أموال اليتامى بدل أموالكم، فتكون أموالهم عليكم حرام، وأموالكم حلال، وقوله :إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً الحوب: الإثم العظم [٦] .

وتماشيا مع ما تم ذكره تبين للبحث ان الخبيث له عدة دلالات منها الرديء ، والنجاسة الحقيقية ، والشيء المشبوه ، والمال الحرام ، والشر ، كما يمكن القول أن الطيب من الأعمال المشروع مقارنة بالخبث المذموم في كل الدلالات التي وردت .

---

[١] مقاييس اللغة ، ٢/ ٢٣٨ .

[٢] لسان العرب ،٢ / ١٤٢.

[٣] المفردات ، ٢٧٢ .

[٤] كشاف اصطلاحات الفنون ،١ / ٧٣٥ .

[٥] المفردات ٣ / ١٠٨٢ .

[٦] ظ: معاني القرآن ، ١ / ٢٥٣ .

المطلب السابع : الطيب في اللغة والاصطلاح :

اولاً / الطيب لغة : قال ابن فارس (الطاء والياء والباء أصل واحد صَحِيحٌ يَدُلُّ على خِلَافِ الْخَبِيثِ) [١] .وَهُوَ طَيِّبٌ وطاب والأنثى طَيِّبَةٌ وطابَةٌ [٢] ، والطّيّب (ما هوضد الخبيث بمعنى طاهر ونظيف وأحيانا هو مأخوذ من طيب النّفس، وحينا من طيب الرّائحة ويأتي بمعنى حلال ، ويطلق أحيانا على ما هو أخصّ من حلال أي طاهر بلا شبهة كراهة) [٣].

ثانياً / اصطلاحاً : وأصل الطَّيِّبِ: ما تستلذّه الحواسّ، وما تستلذّه النّفس [٤] ، يعرفه التهاوني بقوله (هو ضد الخبيث، فإذا وصف به الله تعالى أريد به أنّه منزّه عن النقائص مقدّس عن الآفات والعيوب وإذا وصف به العبد مطلقا أريد به أنّه المتعرّي عن رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال والمتحلّي بأضداد ذلك) [٥] . ويتضح مما سبق ان الطيب له عدة دلالات منها :الطاهر والنظيف ،و المال الحلال ، كما هي صفة للإنسان المتعري من رذائل الأخلاق ، ويأتي بمعنى صفاء القلب للأنسان .

المطلب الثامن : المقارنة بين المال الخبيث والمال الطيب :

استهلت سورة النساء في أولها المقارنة في نطاق الفقه الإسلامي والتميز بين المال الخبيث والمال الطيب وهنا يقف البحث على البيان الدلالي لمضمون الآية بحسب وجهة نظر المفسرين

قال الطبرسي في معنى قوله تعالى (وَآتُوا الْيَتَامَى ...) انه خطاب الى أوصياء اليتامى بأن يعطوهم أموالهم بالإنفاق عليهم في حالة الصغر وعند البلوغ تسلم اليهم) [٦] .

---

[١] معجم مقاييس اللغة ، ٣ /٤٣٥ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ١ / ٥٦٣ .

[٣] التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ٢ / ١٤٣ .

[٤] الراغب الاصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٥٢٧ .

[٥] م – ن ، ٢ / ١١٤٣ .

[٦] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ٧ . البرهان في تفسير القرآن ، سيد هاشم البحراني ٢ / ١٦ ، تفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ، ١ / ٢٨١ .

وذكر الطوسي في بيان معنى قوله تعالى (... وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ...) أي لا تستبدلوا الأموال الحرام عليكم من أموال اليتامى بما هو حلال لكم من الله من أموالكم [١] .

وقال محمد جواد مغنية أن المراد (بالخبيث هنا المال الحرام، و بالطيب المال الحلال، و المعنى لا تأكلوا و تتمتعوا بأموال اليتيم، و تحتفظوا بأموالكم، و إذا فعلتم ذلك فقد استبدلتم الخبيث الذي حرمه عليكم من أموال اليتامى بالطيب الذي أحله الله لكم من أموالكم فهو نظير قوله تعالى (أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [٢] [٣] .

وأختلفوا في صفة التبديل على أقوال :

ذكر الماوردي اربعة أقوال فيها[٤] .

احدها: الحرام بالحلال، و هو قول مجاهد.

و الثاني: هو أن يجعل الزائف بدل الجيد، و المهزول بدل السمين و يقول درهم بدرهم، و شاة بشاة، و هو قول ابن المسيب و الزهري و الضحاك و السدي.

و الثالث: هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال.

و الرابع: أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار و النساء و يأخذه الرجل

ويظهر انه عال على الطبري الذي سبقه في الرأي فقال (وأولى هذه الأقوال و لا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الأوصياء الحرام عليكم اي الخبيث لكم، فتأخذوا رفائعها و خيارها و جيادها و بالطيب الحلال لكم من أموالكم و تجعلوا الرديء الخسيس بدلا منه) [٥] .

وذكر الطوسي اربعةأقوال كذلك :[٦] .

---

[١] التبيان ، ٣ / ١٠١ .
[٢] البقرة : ٦١ .
[٣]، الكاشف ،٢ / ٢٤٦ .
[٤]النكت و العيون ، ١ / ٤٥٣ .
[٥] جامع البيان ، ٤ / ١٥٤ .
[٦] ظ : الطوسي ، التبيان ، ٣ / ١٠١ .

الأول : قال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و الرفيع منه و يجعلون مكانه الرديء الخسيس ابراهيم النخعي، و السدي، و ابن المسيب، و الزهري، و الضحاك .

الثاني : معناه بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم ، بحسب قول أبو صالح *، و مجاهد.

الثالث : قول ابن زيد: معناه ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، من أنهم لم يكونوا يرزقون النساء و لا الصغار بل يأخذه الكبار.

والأولى عنده القول الاول لأنه ذكر عقيب مال اليتامى و إن حمل على عموم النهي عن التبديل بكل مال حرام كان قويا .

و قال سيد قطب (أعطوا اليتامى أموالهم التي تحت أيديكم، و لا تعطوهم الرديء في مقابل الجيد كأن تأخذوا أرضهم الجيدة، و تبدلوهم منها من أرضكم الرديئة، أو ماشيتهم، أو أسهمهم و نقودهم و في النقد الجيد ذو القيمة العالية و الرديء ذو القيمة الهابطة أو أي نوع من أنواع المال، فيه الجيد و فيه الرديء)[1] . وبين محمد تقي المدرسي في تفسيره أن اليتيم من أضعف الحلقات الاجتماعية، و الولي عليه هو أقوى الحلقات في قدرته على أكل أمواله من دون رادع اجتماعي، وقد حذرالقرآن الأولياء من ظلم اليتيم ظاهرا أو خفية، و الظلم الخفي هو تبديل أموال اليتامى بالتي هي أسوأ لحساب الولي ومن يأكل أموال اليتامى يتعود على التبذير، لأنه يجد أمامه مالاً لا تعب فيه فيلتهمه بدون تدبير[2] . ويرى البحث ان الصواب في صفة التبديل ماذهب اليه الطبري والطوسي أي الحرام من اموال الأيتام عليكم بالمال الحلال ومن هنا فعلى المؤسسات الحكومية ان يولوا رعاية خاصة لهذه الفئة التي فقدت آبائها، وأخص بالذكر أيتام شهداء الحشد الشعبي والقوات الأمنية البطلة لبذلهم النفس من أجل العرض والوطن .

---

* أَبُو صَالِحٍ المُؤَذِّنُ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عَلِيٍّ ، دِبْثُ خُرَاسَانَ، أَبُو صَالِحٍ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بنِ بَكْرٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ ، سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ١٨ / ٤١٩ .

[1] في ظلال القرآن ، ١ / ٥٧٦ .

[2] ظ : من هدى القرآن ،٢/ ١٩ .

وفي بيان قوله تعالى (...وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ) قال الماوردي (هو أن يخلطوا أموال اليتامى بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا ربحها) [1] .

و ذكر الكاشاني في تفسيره اي لا تستبدلوا الحرام من أموالهم أي أموال اليتامى بالحلال من أموالكم، فتأكلوه مكانه، أو الأمر الخبيث و هو اقتطاع أموالهم بالأمر الطيّب [2] .

و بذات الصدد بين محمد حسين فضل الله معنى الآية فلا تضمّوا اموال اليتامى إلى أموالكم ليكون المال كله لكم، لأنها أمانة عندكم من الله عز وجل ، مما يجعل من ذلك خيانة للأمانة، من دون فرق في ذلك بين حاجتكم إليها و استغنائكم عنها إِنَّهُ كانَ حُوباً، أي إثم عظيم [3] .

وخلاصة لما سبق تبين ان الآية الكريمة قارنت بين الطيب و المراد به هو المال الحلال وبين الخبيث والمراد به المال الحرام وقد حذر القرآن الكريم من تبديل هذه الأموال ويجب رعاية الايتام رعاية خاصة وانصافهم وعدم اكل أموالهم بالباطل وردّ تلك الاموال اليهم ومن يفعل خلاف ذلك هذا فأنه أثمٌ وظلم عظيم كما ورد في الآية المباركة .

---

[1] النكت و العيون ، ١ / ٤٤٨ .

[2] ظ: فتح الله الكاشاني ، زبدة التفاسير ، ٢ /٩ .

[3] من وحي القرآن ، ١ / ٢٥٣ .

المبحث الثاني

الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في المعاملات :

قال تعالى ((وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)) [١].

وقد وردت في هذه الآية الكريمة مقارنة غيرصريحة بين عدم جواز اخذ مهر الزوجة من قبل ولي المرأة وزوجها وبين المأخوذ من الزوجة بشرط الرضا .

وان لأسباب النزول أثرها في توضيح المراد من الآية المباركة ذكر السيوطي(ان سبب نزول الآية المباركة ما أخرج عن ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك فأنزل الله الآية الكريمة) [٢] .

المطلب الأول : المهر في اللغة والاصطلاح

اولاً: المهر لغة :

قال ابن منظور (المَهْرُ الصَّداق) [٣] .

وذكر الفيروزآبادى (المَهْرُ :الصَّداق ٠٠٠ وأمْهَرَها زَوَّجَها من غيرِهِ على مَهْرٍ)[٤] .

وقال: الفيومي (الْمَهْرُ صَدَاقُ الْمَرْأَةِ وَالْجَمْعُ مُهُورَةٌ) [٥] . والمهر (هو صدَاق الْمَرْأَة مَا يَدْفَعهُ الزَّوْج إِلَى زَوجته بِعقد الزواج) [٦] .

ثانياً: اصطلاحاً :

لقد عرف العلماء المهر بتعريفات عدة منها المهر (هو قيمة بضع امرأة وقت التزويج مما يباح به

---

[١] النساء : ٤ .

[٢] ظ : لباب النقول في أسباب النزول ، ٥٣ .

[٣] لسان العرب ، ٥ /١٨٤ .

[٤]القاموس المحيط ، ٧٤٨ .

[٥] المصباح المنير ، ٢ / ٥٨٢ .

[٦] نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط ، ٢ / ٨٨٩ .

الانتفاع شرعا من المال أو المنفعة معجّلا كان أو مؤجّلا)[١] والمهر صداقا و أجرة وواجب و فريضة[٢] . ويسمي القرآن المهر صداقا ليبيّن فلسفته التي هي المصادقة على عهد الزوجية [٣].

وبناء على ما جاء من الدلالات في اللغة والاصطلاح يمكن القول ان المهر هو الصداق و هو حق للزوجة عند العقد على الزواج والواجب الإيتاء به عند الوط ء.

المطلب الثاني : المقارنة بين إعطاء للمهر وعدمه .

ذكر الطبرسي في تفسيره في لفظ قوله تعالى (وَآتُوا) أي أعطوا النساء مهورهن عطية من الله لان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم أوجب لها بإزاء الاستمتاع مهراً على زواجها فذلك عطية من الله سبحانه الى النساء [٤] .

وقوله تعالى: (وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ) اذ اختلف فيمن توجّه إليه هذا الخطاب على قولين [٥] .

الأول : أنه متوجه إلى الأزواج .

الثاني: أنه متوجه إلى الأولياء، لأنهم كانوا يتملكون في الجاهلية صداق المرأة، فأمر الله بدفع صدقاتهن إليهن .

ان الخطاب الألهي يعم الأولياء أيضا حيث كانوا يأخذون مهور بناتهم و كان أهل الجاهليّة يقولون لمن يولد له بنت هنيئا لك النافجة (٦) . و(والنافجة معناه أنك تأخذ مهرها إبلًا فتضمها الى إبلك فتنفج مالك مالك أي تعظمه، والنافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوج ابنته، فنهى الله تعالى عن ذلك، و أمر بدفع الحق إلى أهله[٧] . نلحظ أن الخطاب متوجه للأزواج وهو ماذهب اليه الطبرسي في تفسيره بدليل

---

[١] التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ٢ /١٦٦٤ .

[٢] ظ : الطوسي ، المبسوط ، ٤ / ٢٧١ .

[٣] ظ: محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن ، ٢ / ٢٢ .

[٤] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ١٢ .

[٥] الماوردي، النكت و العيون ، ١ / ٤٥١ ،الزمخشري ، الكشاف ، ١/ ٤٧٠ .

[٦] ظ :الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٩ / ١٦٩ .

[٧] مفاتيح الغيب ،٩ / ٤٩١ .

الآية الكريمة لقوله : تعالى (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً) خطاب للأزواج معناه فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق (فَكُلُوهُ) أي كلوا الموهوب لكم [١] .

واختلفوا في معنى قوله تعالى (... وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) على ثلاثة اقوال [٢] .

الأول : عطية من الله و ذلك أن الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم أوجب لها بإزاء الاستمتاع مهرا على زوجها فذلك عطية من الله للنساء.

الثاني : اريد بنحلة فريضة مسماة .

الثالث : الدين .

وبذلت الصدد ذكر مير السيد علي الحائري قولين [٣] .

الاول : فريضة من الله لأنّها ممّا فرضه الله في النحلة أي الملّة و الشريعة.

الثاني : عطيّة من الله عليهنّ .

(و تعبير إيتاء المهور بالنحلة و العطيّة مع كونها واجبة لإفادة طيب الخواطر و كمال الرضى، و الخطاب يعمّ الأولياء أيضا) [٤] . وقوله تعالى (فَإِنْ طِبْنَ) دلالة على عدم جواز إكراه النساء أوغصبها أو خداعها على عطيّته، و كان قوم يتحرّجون من قبول شيء ممّا ساقه إلى زوجته فلا مانع اذا وهبت المرأة من مهرها بشرط رضاها [٥] . وذكر الطباطبائي في بيان قوله تعالى (٠٠٠فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً) للدلالة على أن الحكم في الأية وضعي لا تكليفي مع ما في اشتراط الأكل بطيب النفس من تأكيد الجملة السابقة المشتملة على الحكم [٦] .

---

[١] مجمع البيان ، ٣ / ١٢ ، الطباطبا ئي ، الميزان ، ٤ / ١٦٩ .
[٢] ظ: م – ن ، ٣ / ١٢ .
[٣] ظ: الحائري ،مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر ، ٣/ ٤٦ .
[٤] م – ن ، ٣ / ٤٦ .
[٥] ظ : المقداد، السيوري ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢/ ٢٠٢ .
[٦] الميزان ، ٤ / ١٦٩ .

وخلاصة القول نجد أن الآية الكريمة قارنت مقارنة غير صريحة بين اهل الجاهلية حيث كان الرجل عند زواج ابنته يأخذ صداقها من دون أي مشروعية و بعد دخول الاسلام حيث أمر الله سبحانه بعدم جواز أخذ صدقات النساء الا اذا كان عطيةً ، ولابد الى الالتفات الى ان هنالك بعض أولياء المرأة وخاصة في المجتمع الذي يفتقرون للوعي الديني بأحكام الدين الإسلامي يأخذون صداق المرأة بدون طيب النفس سواء كان ولي المرأة الأب او الزوج وهذا محرم شرعاً لان الصداق حقٌ للمرأة قال تعالى(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) .

المطلب الثالث / المقارنة في المحرمات من النساء :

قال تعالى ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا۞ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً)) [1] .

لقد جاءت هذه الآية الكريمة لتبين المحرمات من النساء على الرجال تحريماً مؤبداً من حيث الاحكام الخاصة بالنكاح مقارنة بأحكام التحريم المؤقت وسوف نبين ذلك بحسب ما جاء من آراء المفسرين

المطلب الرابع : التحريم المؤبد :

ذكر الطباطبائي في تفسيره للمحرمات أنها تنقسم على قسمين من جهة النسب*والمحرمات بسبب*[2]

---

[1] النساء : ٢٣ – ٢٤ .

[2] الميزان في تفسير القرآن ، ٤ / ٢٦٠ . *اولاً: سبعة من جهة النسب و هي سبعة أصناف، الأم من اتصل إليها نسب الإنسان بالولادة كمن ولدته من غير واسطة أو بواسطة، كوالدة الأب أو الأم فصاعدة، و البنت من اتصل نسبها بالإنسان بسبب ولادتها منه كالمولودة من صلبه بلا واسطة، و كبنت الابن و البنت فنازلة و الأخت من اتصل نسبها بالإنسان من جهة ولادتهما معا من الأب أو الأم أو منهما جميعا بلا واسطة، و العمة أخت الأب و كذا أخت الجد من جهة الأب أو الأم، و الخالة أخت الأم، و كذا أخت الجدة من جهة الأب أو الأم. الميزان في تفسير القرآن ، ٤ /٢٦٠

وبين المقدادالسيوري أن المحرمات من النساء تنقسم على ثلاثة هي : [١] .

الاول : ما يحرم بالنسب الشرعي ، وهي سبعة *

والثاني : ما يحرم بالمصاهرة .

الثالث : المحرمات بالرضاع .

والرضاع (هو مص اللبن للرضيع من ثدي الآدمية)[٢].

و ذكر الحائري بنات المرضعة و هنّ ثلاثة :

الاولى :الصغيرة الأجنبيّة الّتي أرضعتها امّك بلبن أبيك سواء أرضعتها معك أو مع ولد قبلك أو بعدك

الثانية : أختك لأمّك دون أبيك و هي الّتي أرضعتها امّك بلبان غير أبيك

و الثالثة : أختك لأبيك دون امّك و هي الّتي أرضعتها زوجة أبيك بلبن أبيك [٣] .

ومن المحرّمات نسبا يحرم من الرّضاع بمثله و ورد بالروايات عن الرَسُولُ ﷺ (يُحَرَّمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يُحَرَّمُ مِنَ الْوِلادَةِ) [٤] .

---

*ثانيا : المحرمات بالسبب هي سبع ست منها ما في هذه الآية، و سابعتها ما يتضمنه قوله (وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ) . ويحرم ما في الرضاع فيما يحاذي محرمات النسب من الأصناف، و هي الأم و البنت و الأخت و العمة و الخالة و بنت الأخ و بنت الأخت، الميزان ، ٤ / ٢٦٠ .

[١] المقداد السيوري ،كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ١٨٠ .

*الأم و إن علت، أي امّه و أم أبيه و أم جدّه و أمّ امّه و أم أبيها سواء كان النسب صحيحا أو فاسدا .٢- البنت و إن نزلت أي بنته، و بنت بنته، و بنت ابنه، سواء كان الولادة عن نكاح صحيح أو شبهة أو زنا. ٣- الأخت لأب كانت أو لامّ أولهما. ٤- العمّة و هي أخت الأب، و كذا إذا علت أي أخت الجدّ لأب كان أو لامّ . ٥ - الخالة و هي أخت الأمّ، و كذا إذا علت أي أخت الجدّة لأب كانت أو لام. ٦- بنت الأخ و إن نزلت أي بنت ابنه و بنت بنته و هكذا. ٧ - بنت الأخت و إن نزلت أي بنت بنتها و بنت ابنها. ظ : المقداد السيوري ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ١٨٠

[٢] ظ: الجرجاني ، التعريفات ، ١١١ .

[٣] مير علي الحائري ، مقتنيات الدرر ، ٣ / ٧٧ .

[٤] مهران الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ٤ / ١١٧ .

وقد ذكرت الآيه المحرمات بسبب المصاهرة بقوله تعالى (٠٠٠٠وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا...))

و المصاهرة (هي أن يطأ الرّجل امرأة أو يعقد عليها فيحرم عليه نكاح امرأة أخرى أو يحرم نكاحها على غيره و هناك اربعة محرمات بالمصاهرة): [١] .

١- أمّ الزوجة و إن علت تحرم على الزّوج تحريما مؤبدا و يدلّ على تحريم الأمّ العالية صيغة الجمع في الأمّهات و هذه تحرم بمجرّد العقد على بنتها

٢- بنت الزوجة و إن نزلت أي بنتها، و بنت بنتها، و بنت ابنها، و هكذا و إليهنّ أشار بالرّبائب جمع ربيبة لأنّ الرجل في الأغلب يكون يربّي ابنة زوجته في حجره.

٣- حلائل الأبناء.

٤- الجمع بين الأختين في النكاح و التحريم هنا ليس تحريم عين، فلو فارق إحداهما بفسخ أو طلاق أو موت حلّت الأخرى .

وقوله تعالى (... وَ رَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ ...) و الدخول بها اسم للوطء و هو عام في جميع ضروب الوطء من مباح أو محظور و نكاح أو سفاح فوجب تحريم البنت بوطء كان منه قبل تزويج الأم لقوله تعالى اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ و يدل على أن الدخول بها اسم للوطء و أنه مراد بالآية و أن اسم الدخول لا يختص بوطء نكاح دون غيره أنه لو وطئ الأم بملك اليمين حرمت عليه البنت تحريما مؤبدا) [٢] .

وبين ابن كثير بالمراد من الربيبة قال (هي بنت الزوجة من غير الزوج ولا تحرم الا عند الدخول في الأم ولا تحرم الربيبة بمجرد العقد على أمها ، فإن طلقت الأم قبل الدخول فيها جاز الزواج منها)[٣] .

---

[١] ظ: المقداد السيوري ، كنز العرفان ، ٢ / ١٨٤ .

[٢] الجصاص، أحكام القرآن ، ٣ / ٥٣ .

[٣] ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢١٨ .

(الربائب جمع ربيبة، وهي بنت الزوجة من غيره، ويدخل فيه أولادها وان نزلن، وسميت بذلك لتربيته إياها، ومعناها مربوبه . ويجور أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها وكانت في حجره أو لم تكن، لأنه إذا تزوج بأمها سمي هو ربيبها وهي ربيبته)[١] .

واستناداً لما سبق يرى الباحث ان الربيبة هي بنت للزوجة وتحرم على زوج الام من الزواج منها عندالدخول فيها اما اذا لم يدخل بها وان كان هناك عقد زواج لم تحرم عليها .

واختلفوا من المراد الإحصان :

ذكر الحائري ورد الإحصان في القرآن على أربعة معان [٢] .

الأول : التزوّج كما في هذه الآية الكريمة.

الثاني: العفّة كما في قوله مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ.

الثالث: الحرّيّة كما في قوله وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ"

و الرابع : الإسلام كقوله: "فَإِذا أُحْصِنَّ" أي أسلمن .

واختلفت آراء العلماء في المعنى المراد من قوله (...إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ...)

أذ ذكر الواحدي النيسابوري ان سبب نزولها بما روي (عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبُنَانِيُّ قَالَ :أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُثْمَانَ الْبَتِّيِّ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :أَصَبْنَا سَبَايَا يَوْمَ أَوْطَاسٍ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ، فَكَرِهْنَا أَنْ نَقَعَ عَلَيْهِنَّ، فسألنا النبي عليه الصلاة والسلام فنزلت الآية)[٣] .

ذكر الماوردي أن المراد من ما ملكت أيمانكم فيها أربعة أقوال [٤].

---

[١] القطب الراوندي ، فقه القرآن ، ٢ / ٨٣ .

[٢] ظ: مير علي الحائري ،مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر ، ٣ / ٨٠ .

[٣] الواحدي النيسابوري ، أسباب نزول القرآن ، ١٤٨ .

[٤] الماوردي ، النكت و العيون ، ١ / ٤٦٩ .

الأول : ذوات الأزواج من النساء إلا ما ملكت إيمانكم بالسبي، و هذا قول علي، و ابن عباس، و أبي قلابة، و الزهري، و مكحول، و ابن زيد.

الثاني: ذوات الأزواج حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء، إذا اشتراها مشتر بطل نكاحها و حلت لمشتريها.

الثالث: العفائف من النساء إلا ما ملكت أيمانكم بعقد النكاح، أو ملك اليمين، و هذا قول عمر، و سعيد بن جبير، و أبي العالية، و عبيدة السلماني، و عطاء، و السدي.

و الرابع: نزلت في نساء كنّ هاجرن إلى رسول(ﷺ)و لهن أزواج، فتزوجهن المسلمون، ثم قدم أزواجهن مهاجرين، فنهي المسلمون عن نكاحهن، و هذا قول أبي سعيد الخدري.

وبين الطوسي أن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم، من سبي من كان لها زوج [١] .

وبالصدد ذاته ذهب ابن عاشور الى ما سُبي من النساء في الحرب ، لأنّ اليمين في كلام العرب كناية عن اليد عند مسك السيف [٢] . وذكر المقداد في تفسير معنى قوله تعالى (... مامَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ...)هو استثناء المتزوّجات من الإماء ، ثمّ يحدث لهنّ استرقاق إمّا باشتراء أو ميراث أو سبي أو غير ذلك، فانّ المالك الجديد له فسخ النكاح و الوطي بعد العدّة، و يدخل فيه أيضا الأمة المزوّجة بمملوك السيّد، فانّ له ان يفسخ نكاحها، ويجوز له الوطىء بعد العدّة[٣] .

وذكرالطبري أن الله جل ثناؤه بين لعباده ماهي المحرمات من النسب ومن الصهر، ثم المحرمات من النساء المحصنات ، ثم أخبرهم جل ثناؤه أنه قد أحل لهم ما عدا هؤلاء المحرمات المبينات في هاتين الآيتين أن نبتغيه بأموالنا نكاحا و ملك يمين لا سفاحا [٤] .

ونقل الطوسي ما ورد من بيان العلماء في معنى الآيه و قسمها الى أربعة وجوه وهي [٥] .

(الأول : قال عبيدة السلماني، و السدي: أحل لكم ما دون الخمس، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.

---

[١] التبيان ، ٣ / ١٦٢ .

[٢] ظ: التحرير و التنوير ، ٤ / ٨٤ .

[٣] ظ: االمقداد السيوري ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ١٩٠ .

[٤] ظ: جامع البيان ، ٥ / ٨ .

[٥] التبيان ، ٣ / ١٦٥ .

الثاني :قال عطاء أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم.

الثالث : قال قتادة (ما وَرَاءَ ذلِكُمْ) مما ملكت أيمانكم.

الرابع ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع، أن تبتغوا بأموالكم نكاحا، أو بملك يمين)

والوجه الرابع عنده أولى الوجوه لأنه حمل الآية على عمومها في جميع ما ذكر الله، و لا تنافي بين هذه الأقوال [١] .

وذكر القطب الراوندي ان في الآية اربعة أقاويل [٢] .

الاول : أحل الله لكم ما دون الخمس ان تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.
الثاني :أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم ونحوها من المحرمات بالسبب.
الثالث : مما ملكت أيمانكم.
الرابع : ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع أن تبتغوا بأموالكم نكاحا أو ملك يمين.

ويرى الباحث الرأي الراجح هو ما ذهب اليه اغلب المفسرين وكذلك ماذهب اليه الطوسي من أن المراد هو ماوراء ذوات المحارم إلى الأربع أو أن تبتغوا بأموالكم نكاحا، أو بملك يمين، و هذا الوجه أولى، لأنه حمل الآية على عمومها في جميع ما ذكر الله.

وأوضح الزمخشري قوله تعالى : "كِتابَ اللَّهِ" معناه ماكتب الله عليكم تحريم ذلك، و أحلّ لكم ما وراء تلك المحرمات التي بينت [٣] .

وأختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَ يعني المتعة ، وقال آخرون : معناه: فما نكحتم منهن فجامعتموهن، اي النساء أعطوهم صدقاتهن فريضة معلومة [٤].

---

[١] ظ : التبيان ، ٣ / ١٦٥ .
[٢] ظ: فقه القرآن ، ٢ / ٩٤ .
[٣] الكشاف ، ١ / ٤٩٧ .
[٤] ظ: الطبري، جامع البيان ، ٥ / ٩ .

وفي بيان قوله تعالى (لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) ذكر الماوردي فيها ثلاثة أقوال وهي على النحوالآتي : [١] .

الاول : معناه لا حرج عليكم أيها الأزواج إن أعسرتم بعد أن فرضتم لنسائكم مهرا عن تراض أن ينقصنكم منه و يتركنكم .

و الثاني: لا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم و النساء اللواتي استمتعتم بهن إلى أجل مسمى، إذا انقضى الأجل بينكم أن يزدنكم في الأجل و تزيدوهن في الأجر قبل أن يستبرئن أرحامهن .

و الثالث: لا جناح عليكم فيما تراضيتم به و دفعتموه أن يعود إليكم عن تراض . وقال الطبرسي ((فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ) أي لا إثم عليكم في نكاح بناتهن إذا طلقتموهن) [٢] .

وفي بيان قوله تعالى (مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ) قال الفراء (أن تبتغوا الحلال غير الزنا و المسافحة الزنا [٣]و قال الزجاج : مُحْصِنِينَ "أَى عاقدين التزويج [٤] . "غَيْرَ مُسافِحِينَ " غير مسافحين أَي غير زناة [٥] .

وذكر الطبرسي قولان : [٦] .

الأول : معناه المتزوجون غير الزناة.

والقول الآخر :أعفة غير زناة .

قوله تعالى : تعالى "مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ "

قال الجصاص فيها وجهان[٧] .

"أحدهما الحكم بكونهم محصنين بعقد النكاح و الأخبار عن حالهم إذا نكحوا.

---

[١]ظ: الماوردي، النكت و العيون ، ١ / ٤٧١ .
[٢] مجمع البيان ، ٣ / ٤٨ .
[٣]الفراء، معاني القرآن ، ١ / ٢٦١ .
[٤] الزجاج ، معاني القرآن وأعرابه ، ٢ / ٣٧.
[٥]م – ن ، ٢ / ٣٧.
[٦]ظ: مجمع البيان ، ٣ / ٥٢ .
[٧]الجصاص، أحكام القرآن ، ٣/ ٩٣ .

و الثاني أن يكون الإحصان شرطا في الإباحة المذكورة في الآية وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ" .

والأولى عنده حمله على الأخبار عن حصول الإحصان بالتزويج لإمكان استعماله .

وأوضح سيد قطب في تفسير الآية لقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً" أن الله هو من شرع هذه الأحكام، و شرعها عن علم و عن حكمة فيعرف ضمير المسلم من أين يتلقى الأحكام في كل شأن من شؤن حياته وأخصها هذا الذي بينه و بين زوجه و يطمئن إلى ما يتلقاه من هذه الأحكام، الصادرة عن العلم و عن الحكمة [١] .

المطلب الخامس / المحرمات تحريماً موقتاً :

اما المحرمات من النساء على الرجال تحريما مؤقتا في الآيات المباركة :

اولا : من المحرمات على سبيل التوقيت (الجمع بين الأختين)كما أشارت اليه الآيه (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)لكن بعد أن فارقت الحياة الزوجة او طلقت وانتهت العدة فانه جاز الزواج من أختها [٢] .وأشار الكاشاني الى سبب التحريم بقوله (لان الجمع بينهما يفضى إلى قطيعة الرحم لان العداوة بين الضرتين ظاهرة وأنها تفضى إلى قطيعة الرحم وقطيعة الرحم حرام) [٣] .

.

ثانيا : الزوجة المعتدة من زوج آخر بدليل قوله تعالى (الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُم " أيْ: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمُ الْأَجْنَبِيَّاتُ الْمُحْصَنَاتُ وهي الْمُزَوَّجَاتُ "إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" يَعْنِي: إِلَّا مَلَكْتُمُوهُنَّ بِالسَّبْيِ، فَإِنَّهُ يَحِلُّ لَكُمْ وَطْؤُهُنَّ إِذَا اسْتَبْرَأْتُمُوهُنَّ)[٤] .

وخلاصة لما سبق فقد قارنت الآيات السابقة مقارنة صريحة من صنفين من المحرمات تحريما مؤبدا تحريم عيني فقد جاءت الآيات المباركة وبيت المحرمات ما هو محرم اما بالنسب او بالسبب او ما هو محرم بالرضاع وبين الحرمة المؤقتة لأن سبب الحرمة غير دائمة كما في الجمع بين الأختين والزوجة المعتدة من زوج آخر .

---

[١] ظ : في ظلال القرآن ،٢ / ٦٢٦ .

[٢]، عبد الله شبر، تفسير القرآن الكريم ، ١ / ١١١ .

[٣] الكاشاني ، بدائع الصنائع في ترتيب الرائع ، ٢ / ٢٦٢

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢٥٦ .

المبحث الثالث

الموارد المتعلقة ببعض آيات الأحكام في الجنايات :

قال تعالى ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) [١] . يتضح من مضمون الآيه الكريمة وجود المقارنة بشكل صريح بين حالة القتل الخطأوحكمهما وبين حالة القتل المتعمد وحكمهما ، وهنا نعرض لآراء المفسرين في بيانهم للآيه اعلاه . نقل السيوطي أن سبب نزول الآية الكريمة (أخرج ابن جرير عن عكرمة قال كان الحرث بن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ثم خرج الحرث مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف وهو يحسب انه كافر ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ،)[٢] .

المطلب الأول / القتل الخطأ:

لغة : لقد عَرَفَ ابن فارس مفردة القتل في اللغة بقوله (الْقَافُ وَالتَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِذْلَالٍ وَإِمَاتَةٍ .يُقَالُ :قَتَلَهُ قَتْلًا .وَالْقِتْلَةُ :الْحَالُ يُقْتَلُ عَلَيْهَا. يُقَالُ قَتَلَهُ قِتْلَةَ سُوءٍ) [٣] .

اصطلاحاً : (هو فعل يحصل به زهوق الروح)[٤].

وبين أحد الفقهاءماهية المركب الأضافي (القتل الخطأ) وهو ما لم يشبه من العمد شيء، بأن يكون مخطئا في الفعل مخطئا في القصد ، مثل أن يرمى طائرا فأصاب انسانا، فقد أخطأ في الامرين [٥].

---

[١] النساء :٩٢ – ٩٣ .

[٢] باب النقول في أسباب النزول ، ٦٥ .

[٣] مقاييس اللغة ، ٥ / ٥٦ .

[٤] الجرجاني : التعريفات ، ١٧٢ .

[٥] ظ :القطب الراوندي ، فقه القرآن ٢ / ٤١٤ .

وقد بين الطوسي أن القتل على أضرب ثلاثة : عمد محض ، وخطأ محض ، وشبيه وبه قال أبو حنيفة والشافعي وقال مالك : القتل ضربان : عمد محض ، وخطأ محض [١] .

وذهب الراوندي الى القول ايضا أن القتل أضرب ثلاثة : [٢] .

اولا :العمد المحض : وهو أن يكون عامدا بآلة يقتل غالبا كالسيف والسكين والحجر الثقيل، عامدا في قصده .

ثانيا : خطأ محض، وهو ما لم يشبه شيئا من العمد، بأن يكون مخطئا في فعله مخطئا في قصده، مثل أن رمى طائرا فأصاب انسانا .

ثالثا:عمد الخطأ أو شبه العمد، والمعنى واحد،وهو أن يكون عامدا في فعله مخطئا في قصده. فأما كونه عامدا في فعله فهو أن يعمد إلى ضربه لكنه بآلة لا تقتل غالبا كالسوط والعصا الخفيفة،والخطأ في القصد أن يكون قصده تأديبا وزجره وتعليمه لكنه ان مات منه فهو عامد في فعله مخطئ في قصده [٣]

وذكر الماوردي في تفسيره أن الله ماأذن لمؤمن أن يقتل مؤمنا(٠٠٠٠ إِلَّا خَطَأً٠٠٠) تعني أن المؤمن قد يقتل المؤمن عن طريق الخطأ وليس مما جعله له الله) [٤] ،في حين يرى القرطبي ان لِلْخَطَأِ وُجُوهاً كثيرة لَا تُحْصَى يَرْبِطُهَا عَدَمُ الْقَصْدِ، مِثْلَ أَنْ يَرْمِيَ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ فَيُصِيبُ مُسْلِمًا من غير قصد [٥] . وبين احمد الجزائري بأنه (قرئ خطأ بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة ، والأظهر أن أن الاستثناء منقطع أي ما جاز له أن يقصد قتل المؤمن ولا يقطع منه على جهة من الجهات لكن قد يقع منه خطأ كان يقصد بفعله مثلا قتل طير فيقع على مؤمن فيقتله أو يقصد المفعل دون القتل بما لم يقتل

---

[١] ظ : الخلاف، ٥ / ٢١٨ .

[٢] ظ : فقه القرآن ، ٢ / ٤١٤ .

[٣] القطب الراوندي ، فقه القرآن ، ٢ / ٤١٤ .

[٤] ظ : النكت و العيون ، ١ / ٥١٨ .

[٥] الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٣١٢ .

غالباً فيندرج فيه قسما الخطأ" [١] .

في حين نجد الطباطبائي يقول (الخطأ بفتحتين من غير مد، و مع المد على فعال ، خلاف الصواب، و المراد به هنا ما يقابل التعمد لمقابلته بما في الآية التي تليها في القتل العمد وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدا)[٢].

قال ابن كثير (انه ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بأي وجه من الوجوه) [٣] .

وورد عن النبي محمد (ﷺ) قال (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس) [٤] .

وفي بيان حكم القتل الخطأ هو تحرير رقبة يذهب الطبري الى الرأي في قوله تعالى("فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) قال الطبري "فعليه بتحرير رقبة مؤمنة في ماله و دية مسلمة يؤديها إلى أهله)[٥] .

وذكر المقداد السيوري ان الآية شملت أحكاماً على القتل الخطأ [٦] .

اولا: أنّ القاتل خطاء يجب عليه كفّارة و هي تحرير رقبة و لا خلاف في اشتراط إيمانها، و هذه واجبة في مال القاتل، بلا خلاف .

ثانيا : تسليم الدية إلى ورثتة المقتول .

وحدد الطوسي في تفسير الرقبة المؤمنة قولين : [٧] .

القول الأول : الرقبة المؤمنة لا تكون إلا بالغة قد آمنت و صامت وصلت. فأما الطفل فانه لا يجزي و لا الكافر قال ابن عباس، و الشعبي، و ابراهيم، و الحسن، و قتادة.

---

[١] قلائد الدرر ، ٣ / ٤٠٨ .
[٢] الميزان ،٥/ ٣٨ .
[٣] ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٣٣٠ .
[٤] سنن أبي داود ، ٤ / ١٧٠ .
[٥] جامع البيان ، ٥ / ١٢٨ .
[٦] كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ٣٦٨ .
[٧] ظ: التبيان ، ٣ / ٢٩٣ .

والقول الآخر: كل رقبة ولدت في الإسلام فهي تجزي، قال به عطاء.

ثم ذكر ان القول الاول هو أقوى، لأن المؤمن على الحقيقة لان يطلق إلا على بالغ عاقل مظهر للايمان ملتزم لوجوب الصوم و الصلاة .

وسبق للطبري أنه قال (لا يجزئ فيها الصبي) [١] .

وقوله تعالى(إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا "إلا أن يصدق أهل لقتيل الخطأ على من لزمته دية قتيلهم، فيعفوا عنه و يتجاوزوا عن ذنبه، فيسقط عنه) [٢] . يتضح ان الآيه قد حددت دية القتل الخطأ وخيّرت أهل القتيل الخطأ بين اخذ دية القتل أو العفو عن الذي قام بالقتل الخطأ فهم مخيرون في ذلك بسبب وجود العمد بين القوم الذين حصل عندهم القتل الخطأ على حد سواء بين القاتل والمقتول بالخطأ .

وقوله تعالى (إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)

ذكر الماوردي فيها ثلاثة أقوال : [٣] .

الأول : أهل الذمة من أهل الكتاب، ابن عباس، يجب في قتلهم الدية و الكفارة.

الثاني: أهل عهد رسول الله (ﷺ) من العرب خاصة.

الثالث: كل من له أمان بذمة أو عهد فيجب في قتله الدية و الكفارة، الشافعي .

وأوضح الطبرسي في تفسيره لقوله تعالى (فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ) في الآية المباركة قولين : [٤] .

القول الاول : إن كان القتيل من جملة قوم هم أعداء لكم يناصبونكم الحرب و هو في نفسه مؤمن و لم يعلم قاتله أنه مؤمن فقتله و هو يظنه مشركا فعلى قاتله تحرير رقبة «مُؤْمِنَةٍ» كفارة و ليس فيه دية عن ابن عباس .

---

[١] جامع البيان ، ٥ / ١٣٠ .

[٢] م – ن ١٣٠ .

[٣] ظ : الماوردي، النكت و العيون ، ١ / ٥١٩ .

[٤] ظ: مجمع البيان ، ٣ / ١٣٩ .

القول الآخر : اذا كان القتيل في قوم أعداء و هو مؤمن بين أظهرهم و لم يهاجر فمن قتله فلا دية له و عليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لأن الدية ميراث و أهله كفار لا يرثونه ،عن ابن عباس وفي رواية أخرى عن السدي وإبراهيم و قتادة و ابن زيد "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ " قال الماوردي : فيه قولان: [١] .

الأول : أن الصوم بدل من الرقبة وحدها إذا عدمها دون الدية، ، قول الجمهور.

و الثاني: أنه بدل من الرقبة و الدية جميعا عند عدمها، قول مسروق

المطلب الثاني / القتل العمد :

وتأتي المقابلة أو المقارنة هنا بالقتل العمد لما سبق بالقتل الخطأ قال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)

والقتل العمد: (هو تعمد ضربه بسلاح أو ما يجري مجرى السلاح) [٢].أما العمد هو ما تعمدت ضربه بسلاح لان العمد وهو القتل وقصد ازهاق الحياة [٣]. وقد ذكر السيوطي ان سبب نزول هذه الآية بما روي (عن بن جرير من طريق ابن جريح عن عكرمة ان رجلا من الأنصار قتل أخا مقيس ابن صبابة فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله فقال النبي ﷺ (لا أؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح قال ابن جريح وفيه نزلت هذه الآية "ومن يقتل مؤمنا متعمدا) [٤] . واختلف العلماء من مفسرين وفقهاء في التأويل بصفة قتل العمد ، وقد فَصَلَّ الطوسي في هذه المسألة فذكر سواء عند الأمامية أو غيرهم من علماء المذاهب الأسلاميه الاخرى أن من قصد قتل غيره بما يقتل مثله في غالب العادة سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو مثقلة من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تفريق أو موالات ضرب بالعصا حتى يموت أو بحجارة ثقيلة فان ذلك يوجب القود، و به قال ابراهيم، وعبيد بن عمير، و الشافعي، و أصحابه، و اختاره الطبري.

---

[١] ظ : الماوردي، النكت والعيون ، ١ / ٥١٩ .

[٢] الجرجاني ،التعريفات ، ١٧٢ .

[٣] السرخسي ، شمس الدين ، المبسوط ، ٢٦ / ١ .

[٤] السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول ، ٦٥ .

والقول الآخر :لا يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد، ذهب إليه سعيد ابن المسيب،وابراهيم، والشافعي[١].

وقال ابن كثير هذا وعيد و تهديد شديدمن الله لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غيرآية من القرآن [٢] . قال تعالى ((وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ)) [٣] ، ومن ثم قرنت بالشرك في مواضع كثيرة واتجه بعضهم و منهم ابن عباس إلى أنه لا توبة منها ولكن البعض الآخر استند إلى قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاء))[٤] . أي فرجا للقاتل التائب المغفرة [٥] ، ومن يقتل مؤمنا عامدا قتله، مريدا إتلاف نفسه قتل العمد، "فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ "يقول: فثوابه من قتله إياه جهنم، يعني له عذاب جهنم باقيا فيها [٦]. ان جريمة قتل الإنسان تعد من الجرائم والكبائر وأخطر الذنوب، و ان التهاون في مكافحة مثل هذه الجريمة يهدد أمن المجتمع و سلامة أفراده، والأمن الذي يعد من أهم متطلبات المجتمع السليم ، حتى أنّه عدّ قتل النفس الواحدة قتلا للناس جميعا[٧] . قال تعالى ((مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)) [٨] . وذكر المقداد السيوري ان الدية في الأقسام الثلاثة :

١ – ألف مثقال من الذهب المسكوك الخالص .

٢ – عشرة آلاف درهم أو ألف شاة .

أو مائتا حلّة من برود اليمن كلّ حلّة ثوبان أو مائتا بقرة أو مائة من الإبل[٩] .

---

[١] ظ: التبيان ، ٣ / ٢٩٤ .
[٢] القرآن العظيم ، ٢ / ٣٣٢ .
[٣] الفرقان: ٦٨.
[٤] النساء ٤٨ .
[٥] سيد بن قطب ، في ضلال القرآن ، ٢ / ٧٣٦ .
[٦] الطبري ، جامع البيان ، ٥ / ١٣٦ .
[٧] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٣٨٦ .
[٨] سورة المائدة : ٣٢ .
[٩] ظ : كنز العرفان في فقه القرآن ، ٢ / ٣٦٨ .

واستنادا لما سبق من الآراء التفسيرية فقد قارنت الآيات القرآنية مقارنة صريحة بين القتل الخطأ وما يترتب عليه من الآثار وبين القتل العمد وان الله سبحانه قد وعد من يفعل ذلك تكون جهنم جزاء له لعظم جرم هذا الذنب الكبير.

الفصل الثالث

المقارنة بين الآيات التربوية والأخلاقية

- **المبحث الاول : المقارنة بين المصلحين والمخالفين في المجتمع**
- **المبحث الثاني : المقارنة في مصير الطالحين و الصالحين من اليهود**

- **المبحث الثالث : المقارنة بين العمل السيء والعمل الصالح**
- **المبحث الرابع : المقارنة بين الانفاق رياءً والإنفاق في سبيل الله**
- **المبحث الخامس : المقارنة في نطاق سمات الاخلاق الحسنة وعدمها**

الفصل الثالث

المقارنة بين الايات التربوية والاخلاقية

توطئة :

لقد جاء القرآن الكريم مشروعاً تربوياً متكاملاً ، قائماً على قواعد رصينة وثابتة مبناها السماء يبتغي تنظيم حياة البشر نحو الحياة المثلى والفضلى التي تبتغيها الحياة الانسانية و كذلك شريعة الله سبحانه وتعالى التي أودعها في القرآن لأنه ختمت به الكتب السماوية التي بها مسيرة الإنسان عبر مراحل النمو والسير نحو الكمال، ولأنه أساس التربية السليمة في تكوين الأنسان وقد أهتم القرآن الكريم بتربية واستقامة منهجه وأشارت اليها النصوص السماويه قال تعالى : ((وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الكيل وَ الميزان بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها واذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ولو كانَ ذا قُرْبى وبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[1] ،وقال تعالى ((خذ العفو وأمر بالعرف و أعرض عن الجاهليين)) [2] .

وقد وردت في سورة النساء العديد من الآيات التي تضمنت مواضيع تربوية وأخلاقية تحث على اصلاح المجتمع منها الإحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين والابتعاد عن الأعمال المحرمة كالرياء والربا وعقوق الوالدين حيث جاءت هذه الآيات لتقوم البشر للطريق المستقيم ولتنظيم حياتهم وتعاملاتهم الأخلاقية والتربوية والتي تهدف الى بناء مجتمع متكامل قائم على التسامح والمعروف والتراحم بين البشر وقد حث الاسلام على كل ما هو خير صلاح للمجتمع والابتعاد عن الصفات التي

---

[1] الانعام : ١٥٢.

[2] الأعراف : ١٩٩ .

لا يريدها الله سبحانه ودعا سبحانه الى حسن الخلق لأنه سبب في محبة الله ، قال تعالى ((واحسنوا ان الله يحبُ المحُسنين)) [١] .

المبحث الأول

المقارنة بين المصلحين والمخالفين في المجتمع

قال تعالى ((**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**))[٢].

لقد وردت آيات عدة في سورة النساء تتضمن مواضيع تربوية واخلاقية تحث على الاصلاح للفرد و للمجتمع ، وفي المقابل تتوعد من يخالف ما جاء به الرسول الأكرم (ﷺ) .

ذكر الطباطبائي أن فاعل النجوى على قسمين: [٣] .

اولاً : من يفعل ذلك ابتغاء الى مرضاة الله سبحانه ، و لا ينطبق الاعلى من يدعو الى معروف أو إصلاح بين الناس تقرّبا الى الله، و سوف يثيبه الله سبحانه بأجر عظيم

ثانيا : أن يفعل ذلك لمشاقّة الرسول (ﷺ) و اتخاذ طريق غير طريق المؤمنين فتكون جهنم عاقبة له تشير بعض الآيات الكريمة في سورة النساء [٤] . الى هناك اجتماعات سرية شيطانية يعقدها بعض المنافقين أو أشباههم ، واشارت الآية ايضاً الى هذا الامر بشكل أكثر تفصيلاً فكلمة النجوى لا تتدل على الهمس فقط ، وانما تطلق على كل اجتماع سري [٥]، (ولا خير في نجواهم) أي المتناجين الا

---

[١] البقرة : ١٢٦

[٢] النساء : ١١٤ – ١١٥ .

[٣] ظ : مختصر الميزان في تفسير القرآن ، ١ / ٧٦٢ .

[٤] سورة النساء : ١٠٧ – ١١٢ .

[٥] ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل ، ٣ / ٢٩٧ .

فيمن أمر بصدقة أو معروف أو أصلاح بين الناس فأن أولئك فيهم الخير [١] . وهنا نلحظ لماذا خصَّ الله عز وجل هذه الأعمال الثلاثة في أن تكون حاضرة في اجتماع المتناجين وذلك لما لها من أثر على الإنسان والمجتمع لذا خصَّ الله عز وجل الصدقة بقوله (أَمَرَ بِصَدَقَةٍ) وذلك لعزة المال في الحال ، وأغاثته بقوله (أَوْ مَعْرُوفٍ) أي معروف ويشمل اصناف من البر كالقرض واغاثة الملهوف أو أرشاد ضال أو الصدقة أو كل ما يتيحهُ الشرع و يستحسنه ، وأما اصلاح ذات البين عدّامراً جليلاً نبه على عظمتهِ بتخصيصهِ بقوله (أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) أي عامة الناس [٢]،وذلك بالتأليف بينهم بالمودة اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا، من غير أن يتجاوزوا في ذلك حدود الشرع [٣] ، واكد الرسول أن افضل الصدقة اصلاح ذات البين بقوله (ﷺ) (أفضل الصدقة اصلاح ذات البين) [٤] .

ومن يفعل مثل هذه الأعمال التي سبقت الإشارة اليها كالصدقة والامر بالمعروف و إصلاح ذات البين بين الناس فأن الله سبحانه سيخصص لمثل هذه الاعمال ثواب أجر عظيم لأن القائم يبتغي مرضات الله [٥] ،حيث تقول الآية (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وهنا تشير الآية الى لفتة روحية تدفع الأنسان ان يمارس هذه الأعمال لما عند الله سبحانه من الثواب الجزيل في المستقبل ورغبة الحصول على ذلك تتمثل في نيل رضاه [٦]،وفي نيل رضا الله عز وجل يتحقق الأجر العظيم للقائم بتلك الأعمال ، فقوله ((فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) فهذه العبارة تعد من اعظم الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية القلب وإخلاص النية دون الالتفات الى غرض دنيوي ، فإن كانت اعمالهم رياءً انقلبت وصارت من أعظم المفاسد [٧]، لذا يعد اصلاح ذات البين فضلاً عن الصدقة والامر بالمعروف ، في مقدمة النشاطات المهمة التي ارادها الله عز وجل للمسلم فقد جاء في الحديث عن الرسول (ﷺ) قوله (صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام ...)[٨] . ولما رتب الباري عز وجل الثواب العظيم على أعمال الانسان الخالصة له رتب العقاب الشديد على المخافة والمشاقة وكل المخالف على نفسه قال تعالى ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

---

[١] ظ : الطوسي ، التبيان ، ٥ / ٨٣ .

[٢] البقاعي ، نظم الدرر ، ٢ / ٣١٧ ، الا لوسي ، روح المعاني ، ٣ / ١٣٩ .

[٣] ظ : الالوسي ، روح المعاني ، ٣ / ١٣٩ – ١٤٠ .

[٤] م – ن ، ٣ / ١٤٠ .

[٥] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل ، ٣ / ٢٩٨ .

[٦] الطوسي ، التبيان ، ٥ / ٨٤ ، محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن ، ٧ / ٤٦٠ .

[٧] ظ : البقاعي ، نظم الدرر ، ٢ / ٣١٨ .

[٨] المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٨ / ٤٤٤ .

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) فالآية تتحدث عن الذين يثيرون الشقاق والنزاع مع الرسول (ﷺ) او مع الرسالة بعد ان قامت الحجة عليهم من الله تعالى ووضح لهم الحق ، لم يعد عندهم عذر في أية شبه أو شك لذا عليهم ان ينسجموا مع الدلائل التي يقدمها الرسول (ﷺ)[١] ، وليس عليهم يسلكوا طريق العناد لان الآية تحدثت عن المشاقة في اولها وهذه المشاقة بصلي الجحيم[٢].

وبناء عل ما سبق فقد قارنت الآية الكريمة بين الذين يساهمون في اصلاح المجتمع من خلال العمل الصالح بإعطاء الصدقات والقرض وإصلاح ذات البين وأن الله سبحانه سوف يجازي العامليين على ذلك قال تعالى (...أَجْرًا عَظِيمًا) ويبين من يشاقق الرسول (ﷺ) ولا يتبع منهجه وهو المنهج الصحيح والسليم فينكر طريق الهداية والرشاد لذا توّعدهم الله تعالى بالعذاب الشديد بقوله تعالى ((وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) .

المبحث الثاني

المقارنة في مصير الطالحين والصالحين من اليهود :

تناولت السورة المباركة في بعض آياتها الكريمة الإشارة الى مصير طائفة من اليهود الذين اقترفوا الانتهاكات في معاملاتهم كممارسة الربا والاستيلاء على اموال الناس وغيرها من المحرمات وقارنتهم بطائفة اخرى من الصالحين وهنا يجري البحث على بيان ذلك من خلال مقولات المفسرين في بيانهم لقوله تعالى ((**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا۝ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**))[٣] .

---

[١] ظ :محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن ، ٧ / ٦٤٢ .

[٢] ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٣٠٠ .

[٣] النساء : ١٦٠ – ١٦٢ .

فالآية الكريمة في أولها تبين ان الله تعالى قد حَرَمَ بعض الأشياء الطاهرة على اليهود بسبب ممارستهم للظلم والجور ، وتصديهم للسائرين في سبيل الله حيث تقول الآية ((فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا...)) عاقبهم الله سبحانه بالحرمان من تلك الطيبات لتعاملهم بالربا على الرغم من منعهم من ممارستها ، وممارسة المعاملات الربوية والاستيلاء على اموال الآخرين بطرق غير مشروعة [١]. سيما انه قد نهاهم عن اخذ الربا وجرى ذلك عل ألسنة أنبيائهم والتوراة تصرح بتحريم اخذ الربا فقد جاء في سفر الخروج (ان اقترفت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي ، لا تضعوا عليه الربا) فضلاً عن تعاليم أخرى جاءت بالتورات وبعض أنبيائهم قد نهوهم عن الربا البتة ، فلم يقيدوه ببني اسرائيل [٢] . وفي اطار بيان الآية يظهر أن الله تعالى حرم عليهم أي اليهود الطيبات لنقضهم الميثاق الذي واثقوا الله سبحانه عليه وكفروا بآياته ، وقتلوا الأنبياء وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما فعلوا مما وصفه الله في كتابه المجيد بلطيبات من المأكل وغيرها ، وكانت لهم حلالاً ، عقوبة لهم على ظلمهم الذي أخبر الله تعالى عنه، لأنهم لما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم [٣]،اذ تتميز اليهود بالظلم والصد عن سبيل الله ، فهم ممعنون فيه ودائبون عليه واخذهم الربا لا عن جهل ولا عن قلة تنبيه فقد نهوا عنه ، ولكنهم أصروا عليه وأكلهم أموال الناس بالباطل أي بالربا و غيره من الوسائل المحرمة وبسبب هذه المنكرات ومما اسلفه السياق من منكرات أخرى حُرمت عليهم طيبات كانت حلالاً لهم ، فأعد الله تعالى العذاب الأليم للكافرين [٤] . ولما كشف الله سبحانه فضائح أعمال اليهود وقبائح الكافرين وأفعالهم بيّن بعد ذلك تشديده عليهم في الدنيا والآخرة ، اما تشديده في الدنيا فتتمثل بتحريم طيبات كانت محللة عليهم [٥] . قال تعالى((**وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ**)) [٦] . ومن هنا يظهر أن الذنوب على نوعين أما الأعراض عن الدين أو ظلم للخلق فكان ذلك جزاءهم من الله تعالى فقال ((جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ)) ثم أنهم في غاية الحرص في طلب المال فتارة يحصلون

---

[١] ظ : تاصر مكارم الشيرازي الامثل ، ٣ / ٣٤٩ – ٣٥٠ .

[٢] ظ :المراغي ، تفسير المراغي ، ٦ / ١٨ .

[٣] ظ: الطوسي ، التبيان ، ٣ / ٣٨٨ .

[٤] ظ : سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ٢ / ٨٠٢ .

[٥] ظ : الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ١١ / ٢٦٤ .

[٦] الأنعام: ١٤٦ .

عليه بالربا مع نهيهم عنه ، وتارة بطريق الرشوة وهو المراد بقوله تعالى ((سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)) [١] فهذه الذنوب الأربعة هي الذنوب الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا وفي الآخرة ، اما التشديد في الدنيا فهو الذي تقدم ذكره ، بخصوص تحريم الطيبات عليهم ، وأما تشديده في الآخرة فهو المتمثل بقوله تعالى ((وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) [٢][٣] . وطالما وصفت الآية الكريمة في سورة النساء وصف طريقة الكفار الجهلة من اليهود، وصفت كذلك طريقة المؤمنين الصالحين منهم فقال تعالى ((**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**)) الراسخون في العلم (كُلُّ ثَابِتٍ فهو راسخ وَمِنْهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [٤] . ونظير هذا قوله تعالى ((**وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**)) [٥] . فالراسخون في العلم هم الثابتون فيه والمستدلون عليه وهم المؤمنين [٦] . والراسخ في العلم بعيد عن التعنت فليس بينه وبين الحق حاجب فهم يعرفون دلائل صدق الانبياء ولا يسألونهم خوارق العادات [٧] اراد الباري عز وجل لفت انظار البشر للتميز في أعمالهم وأقوالهم وذلك لرفع الحرج في مسيرة حياتهم وسلوكياتهم لضمان رضاه سبحانه ونيل ثوابه وجزاءه الأوفى ، وذلك بتصحيح كل ما أعوج من ما يصدر من قول و فعل وسلوك غير قويم لانهم الثابتون فيه والمتقنون المستبصرون [٨] . وأوضح ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره للآية ، أن جمعاً من من كبار الطائفة اليهودية قد آمنوا بالإسلام حين بعُثَ النبي (ﷺ) وحين شاهدوا على يديهِ دلائل احقية الاسلام دافع هؤلاء بأموالهم وأرواحهم عن الإسلام ، وكانوا عند النبي (ﷺ) وسائر المسلمين كانوا موضع احترام وتقدير [٩] .

---

[١] المائدة ٤٣ .

[٢] النساء : ١٦١ .

[٣] ظ :الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ١١ / ٢٦٥.

[٤] لسان العرب ، ٤ / ٣١٢ .

[٥] آل عمران ٧.

[٦] ظ: م – ن ، ١١ / ٢٦٥ .

[٧] ظ: ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ٦ / ٣١٢ .

[٨] ظ : الكشاف ، ١ / ٥٨٩ .

[٩] ظ : الأمثل ، ٣ / ٥٣٤ .

من هنا نخلص الى عرض وجه المقارنة في الآيات الكريمة بين اليهود الذين ظلموا وصدوا عن سبيل الله فحرمهم الله تعالى من الطيبات التي كانت حلالاً لهم حرمةً دنيوية وأخرى آخروية ووعدهم بالعذاب الأليم ، وبين طائفة أخرى من اليهود وهؤلاء عكسهم لقد كانوا من الثابتين المستبصرين والذين وصفتهم الآية بالراسخين فاستثناهم الباري عز وجل من الحرمان والتحريم من الطيبات في الدنيا والعذاب في الآخرة .

المبحث الثالث

المقارنة بين العمل السيء والعمل الصالح

قال تعالى **((لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا))** [١] .

تجلى في احدى آيات سورة النساء البيان عن أحد أشكال المقارنة ،المتعلقة بين من يعمل سوءاً وبين من يعمل صالحاً سواء من المسلمين او من أهل الكتاب وقد جاءت الآية الكريمة لبيان حال الفريقين وجزاء كل منهما .

ذكر الطوسي أنه اختلف اهل التفسير في تفسير قوله تعالى ((لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ)) فكان الخطاب الى المسلمين أشارة فيه أنه ليس الثواب و العقاب بأمانيكم اذ روي عن السدي و مسروق، قيل أن الخطاب الى الكفار من قريش لأنهم قالوا لا نبعث ولانعذب عن مجاهد و ابن زيد، وفي قوله تعالى ((وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ)) أي لايكون بأماني أهل الكتاب في أن يدخلوا الجنة إلا من كان هودا أو نصارى [٢]،التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون [٣].

---

[١] النساء : ١٢٣ – ١٢٤ .

[٢] ظ : مجمع البيان ،٣/ ١٧٦ .

[٣] ابن منظور، لسان العرب ، ١٥ / ٢٩٤ .

وكشف ابن كثير ان هذه الآية تبين أن الدين ليس بالتمني و لا بالتحلي ، و ليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، و لكن ما وقر في القلوب و صدق الأعمال، و لا كل من قال إنه هو على الحق سمع قوله بمجرد القول ، حتى يكون له برهان من الله سبحانه وتعالى [١] . لذا قالت العرب لن نبعث و لن نعذب قال به مجاهد ، و قالت اليهود و النصارى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى وجاء في قوله تعالى ((لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ)) [٢] والكلام في هذا اللفظ ذكر في قوله تعالى ((إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)) [٣] .

ذكر الطوسي في معنى قوله تعالى "مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ" اختلفوا في تأويله فقال قوم: إنه يريد بذلك جميع المعاصي صغائرها و كبائرها و إن من ارتكب شيئاً منها، فان الله يجازيه عليها.

اما في الدنيا أو في الآخرة و قال آخرون: من يعمل سوءاً من أهل الكتاب نجزيه قال: كقوله(وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ) [٤] .لأن الكفار لا يغفر لهم على حال و المسلمون يجوز أن يغفر لهم ما يستحقونه من العقاب، فلا يمكننا القطع على أنه لا بد أن يجازى بكل سوء. و قال قوم معنى السوء ها هنا الشرك فمعنى الآية من يعمل الشرك يجزيه واليه ذهب ابن عباس و سعيد بن جبير [٥] . لذا فمن يعمل سوءا يجز به لأن الجزاء أثر للعمل، قال تعالى ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))[٦] . و فاعل السوء لا يجد له شفيعا ينقذه ولا نجاة له يوم القيامة، ، و لا ناصرا ينصره ، و لا وليا يتولى أمره و يدفع عنه شيئا من عذاب الله سبحانه وتعالى وجزاء السوء أمر حتمي لكل كافر [٧]

ويتبين من النص انه لا حقّ له ، إلّا باتّباع تعاليمه جلّ شأنه و تطبيق شريعته و تنفيذ أوامره، و هذا هو الدين الّذي أنزله الله تعالى على جميع أنبيائه و أمر الرسل بتبليغه للعباد، و ليس هو أهواء و أمنيات و تشدّق بالكلام بأن يتفاخر كلّ واحد بأنّ دينه أفضل أو أكمل و أحقّ بالاتّباع، فإنّ هذه كلّها

---

[١] ظ : القرآن العظيم ، ٢ / ٣٦٩ .

[٢] آل عمران: ٨٠ .

[٣] الحج: ٥٢.

[٤] سبأ: ١٧ .

[٥] التبيان في تفسير القرآن ، ٣ / ٣٣٧ .

[٦] الزلزلة : ٧ – ٨ .

[٧] ظ : وهبة الزحيلي ، تفسير الوسيط ، ١ / ٣٨٤ .

أماني صوريّة لا حقيقة لها، و هي بعيدة عن واقع الدين لأنّه تطبيق عملي لما وقر في القلب و استقرّ فيه، و تلتقي جميع الأديان في هذا الأمر، بلا فرق بين دين الإسلام و سائر الأديان الإلهيّة،

و قد ذكر سبحانه بعض صور التفاخر في مواضع اخرى من الكتاب العزيز ، قال تعالى (وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّه)[١] [٢] ، وذكر السبزواري محكيا عن أهل الكتاب (وَقالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ) [٣] ، وقال تعالى أيضا(وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا)[٤] .

وفي نطاق الآية يعرض الشيرازي سؤلاً فيشير الى أنه من الممكن أن يستدل البعض من الجملة القرآنية ((وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً))على أنّ قضية الشفاعة و نظائرها قد ألغيت بهذه الآية بصورة تامّة، فيعتبرونها دليلا لإلغاء الشفاعة بصورة مطلقة ، ويجيب على السؤال المطروح ((لقد أشرنا سابقا إلى أن الشفاعة لا تعني أنّ الشفعاء من أمثال الأنبياء و الأئمة وكذلك الصالحين لهم تنظيم مستقل يقابل قدرة الله، بل أن الصحيح هو أنّ الشفاعة لأحد لاتكون إلّا بإذن الله)) [٥] .

وبين النيشابوري اته لم يكن له في القيامة نصير و لا ولي للكافر وان الله عز و جل قد ضمن نصرة المؤمنين [٦] . ثم ذكر قوله تعالى(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا) [٧] .

وذكر الطوسي ان الله تعالى وعد الذكور و الإناث من جميع المكلفين إذا عملوا الاعمال الصالحة ، و هم مؤمنون قارون بتوحيد الله و عدله ومصدقون بنبيه (ﷺ)عاملون لما اتى به بأنه يدخلهم جناته ، و لا يبخسهم مما يستحقونه شيئاً من الثواب، و ان كان مقدار نقير في الصغر، و هي النقطة التي في ظهر النواة [٨] .

---

[١] سورة المائدة : ١٨ .

[٢] عبد الأعلى السبزواري ، مواهب الرحمان ، ٩ / ٣٠٩ .

[٣] ظ : م – ن ، ٩ / ٣٠٩ .

[٤] سورة البقرة :١٣٥.

[٥] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٤٦٦ .

[٦] الثعلبي ، أحمد بن إبراهيم ، الكشف و البيان عن تفسير القرآن ، ٣ / ٣٩٣ .

[٧] سورة : سبأ: ١٧ .

[٨] ظ : التبيان ، ٣ / ٣٣٨ .

وبين محمد حسين فضل الله في تفسير قوله تعالى : "وَ مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى" أن العمل الصالح يحقق نتائجه من أيّ شخص صدرمنه العمل ، سواء من الذكرا أو ألأنثى، لأن الفوارق بين الرجل و المرأة قد تجعل لكل واحد منهما دورا مميزا على الآخر في طريقة تنظيم العلاقة الزوجية، فقد يكون الرجل أفضل من المرأة و أرفع درجة عند الله، من خلال عمله لكن لا يكون من حيث ذكوريته و قد تكون المرأة أفضل من الرجل لذات السبب[١] .

وذكر الخطيب مصير الصالحين ، المقابل لأولياء الشيطان، الذين لم يفتنهم الشيطان، و هو جانب أولياء الله و لم يغرقهم فى الأمانىّ الباطلة ، أي أنهم آمنوا بالله، فهؤلاء آمنوا و عملوا الصالحات ثم حوّلوا هذا الإيمان إلى سلوك و عمل، فغرسوا فى مغارس الخير و مهّدوا ما غرسوا، و حرسوه من الآفات، فكان لهم من الله هذا الجزاء الحسن [٢] .

ولما ان الذكر و الأنثى سواء في المسؤولية والتكليف تحتم أن يكونا في الجزاء سواء كذلك ، و مهما قيل في الفرق بين الرجل و المرأة في هذه الحياة فإنه لا فرق إطلاقا بينهما يوم الحق و الفصل. فالمقارنة ان تكون صحتها بوجه ما فإنها لا تصح بحال الا على الحسنات و السيئات من حيث الجزاء[٣] .

خلاصة القول ان الآية الكريمة عقدت على المقارنة بين العمل بالتمني والتشدق بالكلام الاهوج غير النافع والتفاخر بالدين رياءً فضلاً عن اعمال تجري في هذا النطاق فهذه تعد اعمالاً وأقوالاً صورية لاواقع لها ، وبذلك سينال صاحبهاعذاب الله تعالى وبين العمل الصالح المرتكز على الطاعة ونبذ المعاصي ، وبذلك نجد الباري عز وجل يجازي الإنسان على عمله ذاك خيراً ويسدده نحواالتقى ويزيده بالحسنات .

المبحث الرابع

المقارنة بين الإانفاق رياءً والأنفاق في سبيل الله :

---

[١] ظ : محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن ، ٧ / ٣٧٧ .

[٢] ظ : عبدالكريم يونس الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ، ٣ / ٩١٠ .

[٣] ظ : محمد جواد مغنية ، الكاشف ، ٢ / ٤٤٦.

قارنت الآيات الكريمة بين الذين ينفقون اموالهم مراءاة للناس وهي الصفات المذمومة التي لا يحبها الله سبحانه وتعالى مقارنة بالانفاق في سبيل الله تعالى وهذه صفة يحبها سبحانه وتعالى ودعا اليها الله وممن رزقهم وان الله عزوجل يعلم بكل شيء .

قال تعالى **((وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً ۞ وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً))** [1] .

ويتجلى من مضمون الآية الكريمة ثناؤه سبحانه وتعالى على الذين ينفقون في سبيله وانه يعلم بإنفقاهم وغايتهم من عملهم ذك الذي يبتغون فيه رضا الله سبحانه ، وبين الذين ينفقون في سبيل الشيطان لذا يكون انفاقهم رياءً ظاهراً أمام الناس وذلك لعدم ايمانهم بالله تعالى

وقوله تعالى ((وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)) وهؤلاء لا يصدقون بوحدانية الله سبحانه وتعالى ولا بالميعاد إليه يوم القيامة، الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن، و قد قال مجاهد: إن هذه صفة اليهود، و صفة أهل النفاق الذين كانوا أهل شرك فأظهروا الإسلام تقية من الرسول (ﷺ) [2] .

وإن الانفاق لا تحصل به فائدة الإنفاق غالبا، اذا لا يتوخّى به مواقع الحاجة لأنّ من ينفق ماله رياء، فقد يمنع الفقير و يعطي الغنيّ وقد اختلفوا بمن نزلت عليهم الآية على أقوال ثلاثة : [3] .

اولاً : المنافقون : قال به الزجاج وغيره .

ثانياً : اليهود : قال به ، ابن عباس و مجاهد .

ثالثاً :المشركون من أهل مكة .

فقد أشارت الآية المباركة الى الذين ينفقون أموالهم فعلا ولكن لا ينفقونه لوجه الله تعالى بل رياء و سمعة،وقوله تعالى " وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" أي لا يصدقون بالله و لايصدقون بيوم الحساب فلا ثواب في نظرهم و لا عقاب [1].

---

[1] النساء : ٣٨ – ٣٩ .

[2] ظ: الطبري ، جامع البيان ، ٥ / ٥٦ .

[3] ظ : ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ٦ /١٢٧ .

لذا نجد أن الإنفاق لا يكون عملية أخلاقية، بل يتحول إلى اعمال تجارية تبحث عن البديل لما تدفعه، و تبحث عن الربح فيما تنفقه، و هذا ما نراه في بعض البلاد التي يندفع فيها بعض الأغنياء للإنفاق على المؤسسات الخيرية و التربوية بمستوى يقدر بالملايين ، لأن ذلك يعفيهم من ان يدفعوا الضرائب التي تزيد كثيرا على ما ينفقون، و يحقق لهم وضعا اجتماعيا مميزا ، و يثير حولهم هالة كبيرة من الثناء والمدح الذي لا يستحقونه [٢] .

وقد جاءت الآية لتبين الصفات التي يحبها الله سبحانه قال تعالى ((وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً)) ويظهر أن الآية الكريمة جاءت لتقارن بين الصفات التي يرضا لها الله وبين الصفات السيئة التي ورد ذكرها لما وصفهم بإنفاق جميع أموالهم للعدو الحقير أشار إلى شحهم فيما هو لله العلي الكبير بشيء يسير يحصل لهم به خير كثير، فقال مما رزقهم الله الذي له الغنى المطلق والجود الباهر [٣] .

ويقول صاحب الأمثل في بيان الآية وهنا يقول الله سبحانه وكأنه يتأسف على أحوال هذه الطائفة من الناس ، وأي شيء عليهم لو تركوا هذا السلوك و عادوا إلى طريق الصواب و أنفقوا في سبيل الله ممّا رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير و النعمة ، بإخلاص وليس للرياء ، و كسبوا رضا الله بذلك ، و تعرضوا لعنايته ولطفه ، و أحرزوا السعادة الدنيوية و الآخروية و لا تنتهي بهم إلّا إلى الضرر و الخسران و على كل حال فإنّ الله يعلم جميع أعمالهم و نواياهم و يجزيهم بمايعملون [٤] .

وياتي السوال من الله سبحانه وتعالى ماذا لو جمعوا إلى إنفاقهم بالإيمان بالله وفي سبيله لينفعهم الإنفاق ؟ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً يجازيهم ربهم بما يسرون إن كان خيرا فخيرا و إن كان شرا فشرا فلا ينفعهم ما ينفقون على جهة الرياء و في الآية دلالة أيضا على أن الحرام لا يكون رزقا من حيث أنه سبحانه حثهم على الإنفاق مما رزقهم و أجمعت الأمة على أن الإنفاق الحرام محظور [٥] .

---

[١] ظ : محمد بن حبيب الله السبزواري ، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن ، ١ / ٩٠ .

[٢] ظ : من وحي القرآن ، ٧ / ٢٦٨ .

[٣] البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن ، نظم الدرر ، ٥ / ٢٨١ .

[٤] ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، ٣ / ٢٣٥ .

[٥] الطبرسي، مجمع البيان، ٣ / ٧٥ .

ويمكن رصد المقارنة في الانفاق بين الرياء والانفاق في سبيل الله الى ثلاثة نقاط هي [1] .

اولاً : لا يلحظ حلّية المال في الإنفاق رياء و حرمته، في حين يلحظ في الإنفاق لله حلّية المال قال تعالى (مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ).

ثانياً: في الإنفاق رياء يحسبون أنّ المال الذي ينفقونه خاص بهم، لذلك فهم لا يمتنعون عن الكبر و المنّ، في حين أنّ المنفقين لله حيث يعتقدون بأنّ الله هو الذي رزقهم ما يملكون من المال، و أنّه لا مجال للمنّ .

ثالثاً: إنّ الإنفاق رياء ينحصر غالبا في المال، لأنّ أمثال هؤلاء محرمون من أي رأس مال معنوي لينفقوا منه، و لكن الإنفاق لوجه الله تتسع دائرته فتشمل كل المواهب الإلهية من المال، و العلم و الجاه، والمكانة الاجتماعية وغيرها .

من هنا نلحظ أثر المقارنة في حالتي الأنفاق رياءاًوالأنفاق لله سبحانه حيثيات متعددة اولها أصل المال من أين يكون مصدره ، فأنفاق المال رياءً مصدره الحرام فيصرف في الحرام ، في حين الانفاق في سبيل الله يكون مصدره الحلال من الله فينفق في سبيله سبحانه وتعالى والحيثة الأخرى تتمثل في الغاية من الانفاق ففي الحالة الأولى تكون الغاية من الأنفاق هو أمور دنيوية ، واما في الحالة الثانية تكون الغاية تحقيق أمور أخروية تتمثل برضى الله سبحانه وتعالى .

المبحث الخامس

المقارنة في نطاق الاخلاق الحسنة وعدمها

في موضع آخر من سورة النساء وردت بعض الآيات الكريمة التي تقارن بين بين الآيات التي تحمل السمات والأخلاق الحسنة التي يرضى بها الله عز وجل والتي أمر بها المؤمنين بها وبين الآيات التي تحمل السمات المذمومة التي لا يرضى بها الله سبحانه قال تعالى **((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**

[1] ناصرمكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣/ ٢٣٦ .

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً [١]

ويبدو من النص المبارك أنه أبتدأ بالأمر بعبادة الله تعالى وتوحيده ، ونهاهم عن الأشراك به وكذلك أمر سبحانه بالإحسان إلى تلك المجموعات من الأسرة الخاصة، و الأسرة الإنسانية؛ و تقبيح البخل و الخيلاء و الفخر و أمر الناس بالبخل، و كتمان فضل الله سبحانه وتعالى من أي نوع سواء كان من المال أم من العلم و الدين و التحذير من اتباع الشيطان؛ و التلويح بعذاب الآخرة، و ما فيه من خزي و افتضاح لأرتباط هذا كله بالتوحيد و تحديد المصدر الذي يتلقى منه من يعبد الله و لا يشرك به و هو مصدر كذلك واحد لا يتعدد و لا يشاركه أحد في التوجيه و التشريع جل وعلا شأنه كما لا يشاركه أحد في الألوهية [٢] .

ونجد أن هذه الآية ترشد إلى سائر الأخلاق الحسنة ؛ (واعْبُدُوا اللَّهَ) قال ابن عباس : المعنى وحدوه، و أن العبادة عبارة عن كل فعل و ترك يؤتى به لمجرد أن الله تعالى أمر بذلك، و هذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب و جميع أعمال الجوارح، فلا معنى لتخصيص ذلك الا بالتوحيد[٣].

و تحقيق ذلك الكلام في العبادة كما في قوله تعالى ((يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم)) [٤] .(وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)لأن العبادة لغير الله تعد شركا و لذا قال تعالى((وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) [٥] . اذ يأمرالله العباد بعبادته وحده ، لانه هو الخالق الرازق العظيم المنعم المتفضل على خلقه فهو المستحق منهم أن يوحدوه و لا يشركوا به شيئا صنماً كان اوغير صنم في الباطن او الظاهر [٦].

وأشار الطبرسي الى ذلك بأن الآية اشتملت على أمور عدة ومحاسن الافعال فبدأ الله بالأمر بعبادته فقال ((**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)) أي وحدوه وعظموه ولا تشركوا بالعبادة لغير الله فأن العبادة ولا تجوز لغيره لأنها لا تستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه تعالى جل ثناؤه[٧] .

---

[١] النساء : ٣٦- ٣٧ .

[٢] ظ : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٢ / ٦٥٩ .

[٣] ظ : مفاتيح الغيب ، ١٠ / ٧٥ .

[٤] البقرة: ٢١ .

[٥] البينة: ٥.

[٦] ظ : ابن كثير ، القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦٠ .

[٧] ظ : مجمع البيان ، ٣ /١٧ .

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا إن الآية تدعو الناس قبل أي شئ إلى عبادة الله والخضوع له وحده، وترك الشرك والوثنية التي هي أساس كل البرامج والمناهج الإسلامية ، إن الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده تطهر الروح، وتخلص النية، وتقوي الإرادة، وتشدد من عزيمة الإنسان على الإتيان بأي برنامج مفيد([1]) ((وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ))[2] ، وقوله تعالى ((وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [3] .

واما قوله تعالى (و بالوالدين إحسانا) أشار الباري عزوجل الى ان برّ الوالدين ركن من أركان الدين في المفروضات كما تقدم، و برّهما يكون في الأعمال فإنّ لهما حقّ الرّحم المطلقة، و حقّ القرابة الخاصة إذ أنت جزء منه، و هو أصلك الذي أوجدك، و هو القائم بك حال ضعفك و عجزك عن نفسك [4] .

وأما في الأقوال فقال الله تعالى ((فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما)) [5] .

فالآية الكريمة تشير الى حق الوالدين و توصي بالإحسان إليهما و لا شك أنّ حقّ الوالدين من القضايا التي يهتمّ بها القرآن الكريم كثيرا، و قلّما حظى موضوع بمثل هذا الاهتمام و العناية، فقد جاءت التوصية بالوالدين بعد الدعوة إلى التوحيد في العبادة فمن هذه التعابير المتكررة يستفاد أن ثمّة ارتباطا بين هاتين المسألتين، و القضية في حقيقتها هي إن أكبر نعمة هي نعمة الوجود و الحياة و هي مأخوذة من جانب الله سبحانه في الدرجة الأولى، فيما ترتبط بالوالدين في الدرجة الثانية، لأنّ الولد جزء

من وجود الوالدين، لذلك كان ترك حقوق الوالدين و تجاهلها، في مصاف الشرك بالله سبحانه [6] .

---

[1] ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل ، ٣ / ٢٢٨ .

[2] يونس : ١٨ .

[3] الحج : ٧١ .

[4] ظ: ابن عربي، أحكام القرآن ، ١/ ٤٢٨ .

[5] الأسراء :٢٣ .

[6] ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل ، ٣ / ٢٢٧ .

وذكرت الآية كذلك توصيات وأرشادات أخرى كالتوصية بذي القربى بقوله تعالى (... وَ بِذِي الْقُرْبى...) بين الفخر الرازي بأن الآية توصي بالاقربين فقال (و اعلم أن الوالدين من الأقارب أيضا، إلا أن قرابة الأولاد لما كانت مخصوصة بكونها أقرب القرابات و كانت مخصوصة بخواص لا تحصل في غيرها، لا جرم ميزها الله تعالى في الذكر عن سائر الأنواع، فذكر في هذه الآية قرابة الأولاد، ثم أتبعها بقرابة الرحم) [١] ، واكد الإسلام على أوامر القرابة أكثر من غيره و في الأمر بالإحسان إلى الأقارب تنبيه على أنّ من سفالة الأخلاق أن يستخفّ أحد بالقريب منه لأنّه قريبه، و آمن من غوائله * [٢] .

قال تعالى ((أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)) [٣]

وفي الجانب الأخلاقي الآخر هو الإحسان إلى القرابة و هو صلة الأرحام كالأخ و الأخت و الخال و العم و أبنائهم، و ذلك بمودتهم و مواساتهم، على نحو ما جاء في أول السورة: "وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ " و ذلك يؤدي إلى الترابط الأسري و تقوية معنوياتها و تساندها، فيقوى المجتمع وتقوى أواصر المحبة بينهم [٤] . وتنقل الآية التوجيه الى ضرورة رعاية الأيتام بقوله تعالى **(وَالْيَتَامَى)** قال الفخر الرازي (اعلم أن اليتيم مخصوص بنوعين من العجز: أحدهما: الصغر، و الثاني: عدم المنفق، و لا شك أن من هذا حاله كان في غاية العجز و استحقاق الرحمة. قال ابن عباس: يرفق بهم و يربيهم و يمسح رأسهم، و إن كان وصيا لهم فليبالغ في حفظ أموالهم)[٥] .

وأشار محمد تقي المدرسي في تفسيره الى أبناء المجتمع الّا يحسبوا اليتيم فقيرا أو مسكينا يحتاج الى دعمهم المادي فحسب، بل عليهم أن يغدقوا عليه من الحنان كما لو كان قريبا من أقاربهم، و

لذلك فضل القرآن اليتيم على المسكين[٦].

---

[١] الفخر الرازي، محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، ١٠ / ٧٥ .

* فساد، شرٌّ، داهية، هلكة : مقاييس اللغة ، ٢ / ١٦٥٢ .

[٢] ظ:التحرير و التنوير ، ٤ / ١٢٤ .

[٣] البقرة : ٨٣ .

[٤] ظ: وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ، ٥ / ٦٦ .

[٥] مفاتيح الغيب ، ١٠ / ٧٦ .

[٦] ظ : المدرسي ، من هدى القرآن ، ٢ / ٧٨ .

وذكر الطبري في تفسير قوله تعالى (وَ الْمَساكِينِ) المساكين: هو جمع مسكين؛ و هو الذي قد ركبه ذل الفاقة و الحاجة، فتمسكن لذلك ، يقول تعالى ذكره" استوصوا بهؤلاء إحسانا إليهم"، و تعطفوا عليهم [١] .

وذكر ابن كثير ان الْمَساكِينِ (هم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم و تزول به ضرورتهم) [٢] .

ونجد أن الآية الكريمة توصي بحقوق المساكين والفقراء ، فقد يوجد من يعاني من نواقص و عاهات تعوقه عن الحركة و النشاط و الفعالية في المجتمع السليم الذي يسوده العدل و تناسي هؤلاء أمر يخالف كل الأسس و القيم الإنسانية، فيجب تقديم العون إليهم، و معالجةالحرمان الذي يعانون منه [٣] . و أوضح الطبرسي في بيان قوله تعالى (الْجارِ ذِي الْقُرْبى) ذكر ان فيه قولين [٤] .

اولاً: قيل معناه الجار القريب في النسب فقد روي عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد .

القول الآخر: الجار ذي القربى منك بالإسلام .

وقوله تعالى (وَ الْجارِ الْجُنُب) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ذكر ابن كثير قولين [٥] .

اولا : الذي ليس بينك و بينه قرابة عن عكرمة و مجاهد و ميمون بن مهران و الضحاك و زيد بن أسلم و مقاتل بن حيان و قتادة .

الآخر :هو الجار المشرك، اليهودي و النصراني

وسبقهم الطبري في القول ، والصواب عنده أن الجنب في هذا الموضع: الغريب والبعيد ، مسلماً كان أو مشركا، يهوديا كان أو نصرانيا[١].

---

[١] جامع البيان ، ٥ / ٥٠ .
[٢]القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦١ .
[٣] ظ : ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل ،٣ / ٢٢٨ .
[٤] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ٧٢ .
[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦١ .

وقوله تعالى (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) اختلف اهل التأويل في معناه على عدة أقوال فقد ذكر الماوردي في معناه ثلاثة أقوال:

(أحدها: أنه الرفيق في السفر قول ابن عباس , ومجاهد , وقتادة .

والثاني : أنها زوجة الرجل التي تكون في جنبه , وهو قول ابن مسعود.

والثالث : أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك , وهو قول ابن زيد) [٢] .

واضاف الطبرسي قولاً رابعاً فذكر [٣].

الأول : أنه الرفيق في السفر، عن ابن عباس و سعيد بن جبير.

والثاني : أنه الزوجة: قول عبد الله بن مسعود و ابن أبي ليلى و النخعي.

والثالث : المنقطع إليك يرجو نفعك، قول ابن عباس و ابن زيد.

والرابع : أنه الخادم الذي يخدمك ، ثم ذكر و الأولى حمله على الجميع.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى ((وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ)) الصاحب إلى الجنب، كما يقال: فلان بجنب فلان و إلى جنبه، و هو من قولهم: جنب فلان فلانا فهو يجنبه جنبا، إذا كان لجنبه، و من ذلك: جنب الخيل، إذا قاد بعضها إلى جنب بعض ،و قد يدخل في هذا الرفيق في السفر، و المرأة، و المنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه، لأن كلهم بجنب الذي هو معه و قريب منه، و قد أوصى الله تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب))[٤].

وقوله تعالى (وَ ابْنِ السَّبِيلِ) أختلف أهل التأويل في معناه على ثلاثة اقوال [٥] .

---

[١] جامع البيان ، ٥ / ٥١ .

[٢] النكت والعيون ، /١ ٤٨٥ .

[٣] ظ: مجمع البيان ، ٣ / ٧٢ .

[٤] ظ : جامع البيان ، ٥ / ٥ .

[٥] ظ :م – ن ، ١ / ٤٨٥ .

"أحدها: أنه المسافر المجتاز مارّا، و هذا قول مجاهد، و قتادة، و الربيع.

والثاني: هو الذي يريد سفرا و لا يجد نفقة، و هذا قول الشافعي.

والثالث: أنه الضعيف، و هو قول الضحاك .

وقوله تعالى (وَ ابْنِ السَّبِيلِ) معناه صاحب الطريق، ذكر الطوسي في معناه قولين: [١]

أحدهما:المسافر، قال به مجاهد ،و الربيع .

الآخر: الضيف، قال به قتادة ، والضحاك.

وذكر الطبري الصواب من القول في أن ابن السبيل هو صاحب الطريق، و السبيل: هو الطريق، واشار الى الا أنه إذا كان سفره في غير معصية الله تكون له الأعانة إن احتاج إلى معونة، و يضيفه إن احتاج إلى ضيافة اما اذا كان سفره للمنكر فلا تجوز الأعانة له [٢] .

وبين الطوسي في بيان قوله تعالى ((وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ))أمر الله بالإحسان إلى هؤلاء أجمع يعني المماليك من العبيد و الإماء [٣] .

ذكر ابن عطية (وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) يريد العبيد الأرقاء، ونسب الملك إلى اليمين إذ هي في المعتاد جارحة البطش والتغلب والتملك، فأضيفت هذه المعاني وإن لم تكن بها إليها تجوزا) [٤] .

وبين الطوسي في تفسيرمعنى قوله تعالى (...**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُورًا**) ان أصل المختال من التخيل، أي التصور، فالمختال لأنه يتخيل بحاله المرح والبطر، والمختال الصلف التياه، و الاختيال هو التطاول، و إنما ذكره الله هاهنا و ذمه، لأنه أراد بذلك من يختال فيأنف من جيرانه و

---

[١] ظ: التبيان ، ٣ / ١٩٥ .

[٢] ظ: جامع البيان ، ٥ / ٥٣ .

[٣] ظ : التبيان ، ٣ / ١٩٥ .

[٤] المحرر الوجيز ، ٢ / ٥١ .

أقربائه إذا كانوا فقراء، لتكبره و تطاوله، لكن الاختيال في الحرب فأنه ممدوح وغير مذموم ، لأن في ذلك استخفافاً في العدو و تطاولاً عليه) [١] .

وأوضح الفخر الرازي إنما خص الله تعالى هذين الوصفين بالذم في هذا الموضع، لأن المختال هو المتكبر، و كل من كان متكبرا فانه قلما يقوم برعاية الحقوق، ثم أضاف اليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء و السمعة [٢] .

وبين ابن عاشور أن في الآية نفي محبّة الله تعالى و نفي رضا الله و تقريبه عمّن وصفه لهم بهذا الوصف ، لان هذا تعريض بأخلاق أهل الشرك، لما عرفوا به من الغلظة و الجفاء، فهو في معنى التحذير من بقايا الأخلاق التي كانوا عليها [٣] . وذكرناصر مكارم الشيرازي ان الله سبحانه وتعالى يحذر من كل من يتمرّد و يعصي أمره ، و يتقاعس عن القيام بحقوق أقربائه و والديه و اليتامى و ابن السبيل و المساكين و الأصدقاء و الأصحاب بدافع التكبر بأنّه سيكون معرضا لسخط الله، و سيحرم من عنايته سبحانه، و لا ريب في أنّ من حرم من اللطف الإلهي و العناية الرّبانية حرم من كل خير [٤] .

وبعد ما ذكرت الآيات المباركة الصفات والمحاسن التي أشارت اليها جاءت بعدها الآية المباركة لتنعت وتذم السمات التي لا يرضاها سبحانه مقارنة لما قبلها قال تعالى ((الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً)) [٥] .

يبدو عن قول ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ قال الواحدي أن سبب نزولها ((فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا يَأْتُونَ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُخَالِطُونَهُمْ وَيَنْصَحُونَهُمْ وَيَقُولُونَ لَهُمْ لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ)) [٦] .

.

وبين الطبرسي في تفسره دلالة قوله تعالى (الَّذِينَ يَبْخَلُون) فيها قولان [١].

---

[١] التبيان ، ٣ / ١٩٥ .

[٢] ظ: مفاتيح الغيب ، ١٠ / ٧٨ .

[٣] ظ: التحرير و التنوير ، ٦ / ١٢٥ .

[٤] ظ: ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٢٣٢ .

[٥] سورة النساء : ٣٧ .

[٦] أسباب نزول القرآن ، ١٥٣ .

الأول: يمنعون ما أوجب عليهم الله من الزكوات و غيرها .

الثاني : معناه الذين يبخلون بإظهار ما علموه من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما تفسير قوله تعالى ((وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)) فيه قولان [٢] .

الأول : يجحدون ما آتاهم الله من اليسار و الثروة اعتذارا لهم في البخل .

القول الآخر : أن معنى يكتمون ما عندهم من العلم ببعث النبي و مبعثه .

ثم ذكر الطبرسي و الأولى أن تكون الآية عامة في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه أداؤه و يأمرون الناس به و عامة في كل من كتم فضلا آتاه الله تعالى من العالم و غيره و من أنواع النعم التي يجب أظهارها .

وقال الطبري (إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآية بالبخل، بتعريف من جهل أمر محمد صلى الله عليه وآله و سلم أنه حق، و أن محمدا صلى الله عليه وآله و سلم نبي مبعوث، و غير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى قد بينه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه، فبخل هؤلاء بتبينه للناس) [٣].

ويرى الباحث ان المراد بالبخل كل ما يشمل البخل سواء ما أوجبه الله على الناس من الحقوق او من بخل بتعريف النبي(محمد صلى الله عليه وآله و سلم) وهو ما ذهب اليه الطبري والطبرسي بأقوالهم التي سبق ذكرها. و قال ابن كثير أن الآية ((الى الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين و الإحسان إلى الأقارب، و اليتامى، و المساكين، و الجار ذي القربى، و الجار الجنب، و الصاحب بالجنب، و ابن السبيل، و ما ملكت أيمانكم من الأرقاء، و لا يدفعون حق الله فيها، و يأمرون

---

[١] ظ : مجمع البيان ، ٣ / ٧٣ .

[٢] ظ : م – ن ، ٣ / ٧٣ .

[٣] جامع البيان ، ٥ / ٥٥ .

الناس بالبخل)) [١] . وبين المراغي المراد البخل بالإحسان فيما تقدم الذي أمربه في الآيات السابقة ، فيشمل البخل بلين الكلام و إلقاء السلام و النصح فى التعليم و إنقاذ المشرف على التهلكة، و كتمان ما آتاهم الله سبحانه من فضله ويشمل كتمان المال و كتمان العلم [٢] .

وذكر السبزواري أن الآية الكريمة بينت بعض مظاهر الاختيال والتفاخر وتحدثت عن الوصايا التي توجّه النفوس إلى الكمال، و تحرّضهم على البذل و العطاء و الإحسان بمن ورد ذكرهم في الآية الكريمة السابقة ، و كان ذلك من طاعة الله عزّ و جلّ و عبادته، و أن الشرك يكون بالإعراض عنها تحدّث عن الفئتين الممتنعين عن تنفيذ أحكام الله تعالى و العمل بوصاياه، استكبارا،و تمردا و هما المختالون الفخورون اللذين احتقروا خلق الله تعالى فضيّعوا تلك الحقوق المؤكّدة اتخذوا البخل شعارا لهم[٣] . وبين السبزواري في قوله تعالى "وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً "من كان شأنه هذا فهو الكافر لنعم الله و له عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل بها و الإخفاء لهذه النعمة التي انعم الله عليهم بها [٤]

واستخلاصا لما سبق من البيان للآية الكريمة فقد قارنت مقارنة صريحة بين الصفات الأخلاقية الحسنة البر والأحسان التي أمر الله سبحانه وتعالى من العبادة وبر الوالدين و الإحسان إلى الأقارب، و اليتامى، و المساكين، و الجار ذي القربى، و الجار الجنب، و الصاحب بالجنب، و ابن السبيل، وما ملكت أيمانكم وبين الصفات السيئة كالبخل وعدم الانفاق على مستحقيها كما جاء في الآية المباركة .

---

[١] تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦٥ .

[٢] ظ: تفسير المراغي ، ٥ / ٣٥ .

[٣] ظ: عبد الأعلى السبزواري، مواهب الرحمان في تفسير القرآن ، ٨ / ١٩٣ .

[٤] ظ : عبد الأعلى السبزواري ، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن ، ١/ ٨٩ .

نـتائـج البحث

الحمد لله الذي بفضله تتم النعم والصلاة والسلام على رسول رب العالمين محمد وعلى آلة الطيبين الطاهرين وسلم وبعد ختام دارسة الموضوع تبين للباحث جملة من النتائج التي توصل اليها في البحث وكانت على النحو الآتي:

١– تبلور أن مفهوم المقارنة جاء بعدد من المعاني عند المعجميين مثل : الموازنة ، المقابلة ، المفارقة ، المصاحبة ، المساواة ، المقايسة .

٢– تبين من أستقرائي لمفهوم المقارنة عند اصحاب المعاجم وفي الموسوعات وفي الموسوعات الاصطلاحية أن هناك ألفاظاً لها علاقة بأصل مفهوم الدراسة ومن الألفاظ التي لها صلة في معنى المقارنة واشارت في مضامينها الى المقارنة

٣– تبين ان المقارنة لها العديد من الأدوات والتي وردت في القرآن الكريم ودلت على طرفي المقارنة كأداة الاستفهام هل و لا النافية وحروف التشبيه ... الخ

٤– تبين الإعجاز القرآني بين طرفي المقارنة في الألفاظ التي وردت في البحث تجدهما على الصيغة الدلالية نفسها مثل (الخبيث والطيب ، القاعدون والمجاهدون ، الكافرون والمؤمنون ،العمل الصالح والطالح ،.... الخ من الألفاظ.

٥– ومن فوائد المقارنة بيان الأشياء وتوضيحها ذلك لان الاشياء تعرف بأضدادها ، وكذلك معرفة مواضع الشبه والاختلاف بين كل من طرفي المقارنة فضلاً عن كونها تثبت المعلومات وترسخها في الأذهان ، لأن المقارنة بين الطرفين تساهم في ادراك الحقائق ، فهي بمثابة كفتي الميزان كونها تساعد الباحث في ايقاض العقل ودعوته الى التدبر وبالتالي الوصول الى المراد الصائب

٦– من خلال المقارنة تبين أن الانفاق لله عز وجل فيه ابتغاء رضا الرحمن والذي يكمن من اجل المحتاجين لفك الضيق عليهم وعليه تتوسع دائرة المساعدة من المجتمع اليهم .

٧– ورود المقارنة ومعانيها في مضمون المحتوى النصي لكثير من الآيات الواردة في سورة النساء كالمصاحبة ، المقايسة ، المساواة ، المقابلة ، الموازنة.

٨– ظهر ان المقارنة تستطيع اظهار المواضيع المركزية والفرعية من خلال أضدادها وترسيخها في الذهن والتي تجلوا العلاقة بينهما .

٩– يبدو ان المقارنة هي الأداة المهمة والرئيسية و التي من خلالها نتوصل الى حقيقة الشيء المُقارن به .

١٠– تجلى ان الكثير من الموضوعات تناولتها المقارنة بالمعالجة وتحديد مرتكزاتها من الموضوعلت التي جاءت في السورة كما هو الحال في بيان المقارنة بين المؤمنين والكافرين ، المتعلمين وغير المتعلمين ، الطيب والخبيث ...الخ وانسحب هذا الحال على الكثير من آيات سورة النساء .

١١– تبين أن للمقارنة أهمية كبيرة وذلك من خلال النصوص القرآنية على مستوى القرآن عموماً وسورة النساء خصوصاً .

١٢- ظهر ان للمقارنة غاية استراتيجية وذلك من خلال لفت انظار البشر الى صنفين من الموجودات والتي تتناولها النصوص القرآنية للمقارنة بين الجيد والرديء حتى يتم تحفيزهم نحو التوجهات الصحيحة والسديدة في كل المجالات الحياتية والنهي عن كل السلوكيات والتصرفات البعيدة عن قوانين الشريعة الإسلامية .

١٣- تبلور للباحث ورود الألفاظ المقاربة للمقارنة في سورة النساء وكما جاءت في آراء المفسرين كالمصاحبة والتسوية والموازنة والمقابلة والتي يراد منها المقارنة بين المواضيع .

١٤- جاءت في السورة الألفاظ المتقابلة التي دلت على المقارنة كالمؤمن والكافر، والطيب والخبيث، والقتل الخطأ والقتل العمد ... الخ .

المصـــادر والمـراجـع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إبراهيم مصطفى وآخرون ، د ط ، تح : مجمع اللغة العربية ، د ت .

٢- أحمد محمد البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، صحيح ابن حبان ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

٣- ابن فارِس ،أحمد بن زكَرِيّا، (ت ٣٩٥ هـ)، مقاييس اللغة ، تح: عبد السَّلام محمد هَارُون ، د ط ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

٤- أحمد الجزائري ، إسماعيل (ت ١١٥١هـ) ، قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثار، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤م .
٥- أحمد رضا بن ابراهيم (ت ١٣٧٢هـ) ، معجم متن اللغة ، د ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ت .
٦- أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت ٢٠٠٣م) ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٧- أحمد مطلوب احمد الناصري (ت ١٤٣٩) ، أساليب البلاغة ، د . ط ، ١٩٨٠ .
٨- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . ط ، د . ت .
٩- الأزهري ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) ، تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .
١٠- الآملي ، محمد تقي (ت ١٣٩١هـ) ، مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى ، ١٣٨٥ هـ .
١١- الأندلسي ، عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٢هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، د ط ، د ت .
١٢- البحراني ، هاشم بن سليمان بن إسماعيل (ت ١١٠٧هـ) ، البرهان في تفسير القرآن، ط ١، مؤسسة البعثة ، ١٤١٦ هـ .
١٣- البغوي ، حسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ط ١ ، دار أحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ .
١٤- البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت ٥٨٥هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات ، د ط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د ت .
١٥- الترمذي ، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الضحاك (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
١٦- التهانوي ، محمد بن علي (ت ١١٥٨هـ) ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تح علي دحروج ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
١٧- الثعالبي ، عبدالرحمن بن محمد(ت ٨٧٥هـ) ، جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ط١ ، ١٤١٨ هـ .

١٨- الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـ .
١٩- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨٣٣ هـ)، كتاب التعريفات ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٠- الجصاص ، أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ) ، أحكام القرآن ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ .
٢١- جعفر شرف الدين (ت ٤٠٣هـ) ، الموسوعة القرآنية ، خصائص السور ، تح: عبد العزيز بن عثمان ، ط١ ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت .
٢٢- جميل بن حبيب صليبا (ت١٩٧٦) ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، د ط ، د ت .
٢٣- الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح في اللغة والعلوم ، ط ٤ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٩٨٧ م .
٢٤- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ- ١٠٠٣م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٥- الحائري ، مير السيد علي ، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر ، ط ١ ، دار الكتب الإسلامية ، ١٤١٩ هـ .
٢٦- الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ) ، منتهى المطلب ، ط ١ ، إيران ، مشهد ، ١٤٢١هـ .
٢٧- الحسيني ، محمّد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، د. ط ، د. ت
٢٨- الحميرى ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ، ط١ ، ت ١٤٢٠- ١٩٩٩ .
٢٩- الحنبلي ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ) ، روائع التفسير ، د ط ، د ت.
٣٠- الحنبلي ، سراج الدين عمر بن علي بن عادل (ت ٨٨٠هـ) ، اللباب في علوم الكتاب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .
٣١- الخفاجي ، عبدالله بن محمد بن سعيد (ت ٤٦٦هـ) ، سر الفصاحة ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م

٣٢- الدارمي ، بن عبدالرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥ هـ) ، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، تح: حسين سليم أسد الداراني ، ط١ ، دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٣- الدمشقي ، خير الدين بن محمود بن محمد(ت ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦) ، الأعلام ، ط٥ ، دار العلم ، ٢٠٠٢.

٣٤- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (١٣٤٨)، سير أعلام النبلاء ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، ت ١٤٠٥،

٣٥- الراغب الأصفهانى ، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني ، تح: محمد عبد العزيز بسيوني ، ط ١ ، ت ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٣٦- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

٣٧- الربحي مصطفى معيان ، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق ، ط١ ، عمان ، الأردن ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٨- الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ) ، معاني القرآن واعرابه ، تح: عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ..

٣٩- الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر(ت ٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، د ط ، د .ت .

٤٠- الزمخشري ، محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة ، ط١ ، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤١- الزمخشري ، محمود بن عمرو بن أحمد ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، ت ١٤٠٧ هـ .

٤٢- زين الدين محمد ، التوقيف على مهمات التعاريف(ت١٠٣١ هـ) ، د . ط ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٤٣- السبزواري ، عبد الأعلى بن علي رضا (ت ١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ط ٢ ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، ١٤٠٩ هـ .

٤٤- السبزواري ، محمد بن حبيب الله ، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن ، ط ١، دار التعارف للمطبوعات ، ١٤١٩ هـ .

٤٥- السجِسْتاني ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، د . ط ، بيروت ، لبنان ، د ت .
٤٦- السرخسي ، شمس الدين (ت ٤٨٣هـ)، المبسوط ، د . ط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
٤٧- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي(ت ٦٢٦هـ) ، مفتاح العلوم ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٤٨- سيد قطب بن إبراهيم (ت ١٣٨٦هـ)، في ظلال القرآن ، ط ١٧ ، دار الشروق ، ١٤١٢ هـ .
٤٩- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت٩١١ هـ)، لباب النقول في أسباب النزول ، د. ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د. ت .
٥٠- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، ط ١، ١٤٢٦ هـ .
٥١- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، أسرار ترتيب القرآن ، تح: عبدالرحمن بن أبي بكر ، د. ط ، ٢٠٠٢ م – ١٤٢٢هـ .
٥٢- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، د. ط ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤ م .
٥٣- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، الجامع الكبير ، ط ٢ ، تح: مختار إبراهيم الهائج ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ت م .
٥٤- الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ) ،الموافقات ، ط١ ، تح: مشهور بن حسن آل سلمان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٥٥- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار(ت ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٥٦- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ)، فتح القدير ، ط ١ ، دار ابن كثير ، ١٤١٤ هـ
٥٧- الشيباني ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٠٦ هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط ١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٥٨- الصابوني ، محمد علي (هـ١٤٤٢) ، صفوة التفاسير ، ط١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٥٩- الصابوني ، محمد علي ، مختصر تفسير ابن كثير ، د ط ، دت .

٦٠- الطباطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ) ، مختصر الميزان فى تفسير القرآن ، د. ط ، ١٤٢١
٦١- الطباطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن ، د.ط، قم، إيران، د . ت .
٦٢- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير(ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير ، ط٢، القاهره، ت١٤١٥ - ١٩٩٤ .
٦٣- الطبرسي ، الفضل بن الحسن(ت ٥٤٨ هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط٣ ، ١٤١٣ هـ
٦٤- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ط١ ، دار المعرفة ، ١٤١٢ هـ .
٦٥- الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ) ، الخلاف ، تح: علي الخرساني ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ .
الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي ، التبيان في تفسير القرآن ، ط١ ، تح: أحمد حبيب ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٩ هـ .
٦٦- العاملي ، أحمد حمد بن زين العابدين (ت١٠٦٠ هـ)، حاشية أصول الكافي ، د . ط ، تح: صادق الحسيني ، د ت .
٦٧- عبد الحميد بن هبة الله بن الحديد (ت ٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ، د . ط ، د . ت .
٦٨- العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، فتح الباري ،بشرح صحيح البخاري ، ط ٢ ، د . ت .
٦٩- عماد الدين ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٤٧ هـ)، تفسير القرآن العظيم ، ط٧ ، دار القرآن الكريم ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .
٧٠- عبد الرحمن أبي حاتم الرازي ، بن محمد(ت ٣٢٧ه) ، تفسير القرآن العظيم ، ط٣ ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٩ هـ .
٧١- عبد الكريم يونس الخطيب (ت ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ط . د ت .
٧٢- عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ)، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ط١ ، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٧٣- عبد الله شبربن محمد رضا (ت ١٤٢٤هـ) ، تفسير القرآن الكريم ، ط ١ ، دار البلاغة للطبع والنشر ، ت ١٤١٢ هـ .

٧٤- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٧٥- عبدالعظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت ٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مصر، ط٣ ، ت ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
٧٦- عبدالله شبر، عبد الله بن محمد رضا ، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
٧٧- عزيزة فوال ، المعجم المفصل في النحو العربي ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت.
٧٨- العسكري ، هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)، الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ، د . ط ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .
٧٩- عبدالحق بن غالب ابن عطية ، (ت ٥٤١هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ هـ .
٨٠- علي عشري زايد (ت ١٤٢٥هـ)، عن بناء القصيدة ، ط ٤ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .
٨١- العمادي ، محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط ١ ، دت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .
٨٢- الفخر الرازي ، محمد بن عمر(ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ هـ .
٨٣- الفراء، أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن ، ط ١ ، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، د . ت .
٨٤- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٣ هـ)، كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي ، د . ط ، د .ت .
٨٥- فضل الله ، محمد حسين (ت ١٤٣١هـ)، من وحي القرآن ، ط ٢ ، دار الملاك للطباعة والنشر ، ١٤١٩ هـ.
٨٦- الفيروزآبادي ، ابن عباس ، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت ٨١٧ هـ) ، تنوير المقباس من تفسير د . ط ، د.ت.
٨٧- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح: محمد علي النجار ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

٨٨- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ، ط ٨ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
٨٩- الفيض الكاشاني ، محمد بن محسن بن مرتضى (ت١٠٩١هـ) ، الأصفى في تفسير القرآن ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
٩٠- الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي(ت ٧٧٠ هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، د ط ، د ت .
٩١- القرشي ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، جامع المسانيد والسنن ، دط ، دت .
٩٢- القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
٩٣- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر(ت ٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، د ت .
٩٤- القشيري ، عبدالكريم بن هوازن(ت ٤٦٥هـ) ، لطايف الإشارات ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د. ت .
٩٥- القطب الراوندي ، سعيد بن هبة الله (٥٧٣) ، فقه القرآن ، تح: السيد أحمد الحسيني ، ط ٢ ، مطبعة الولاية ، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ .
٩٦- القمي ، عباس بن محمد رضا (ت ١٣٥٩هـ)، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة د .ط ، د.ت.
٩٧- القمي ، عباس بن محمّد رضا ، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ، ط١ . د. ت .
٩٨- قمي ، علي بن إبراهيم (٣٢٩هـ) ، تفسير القمي ، د ط ، ت ١٣٨٧هـ .
٩٩- القمي ، محمد بن محمد رضا ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ط ١ ، ت ١٤٠٩ هـ .
١٠٠-الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، (ت ٥٨٧هـ) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
١٠١-الكاشاني ، المولى فتح الله بن شكر الله (ت ٩٨٨هـ)، زبدة التفاسير ، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية ، ١٤٢٣ هـ .
١٠٢-الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) ، الكليات ، دط ،تح ، عدنان درويش محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د ت .
١٠٣-الكليني ، محمد بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الكافي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ت ١٣٨٩ هـ .

١٠٤-الكناني ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين ، د . ط ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .
١٠٥-المازندراني ، مولى محمد صالح (ت ١٣٩١هـ)، شرح أصول الكافي د ط ، د ت .
١٠٦-المأمون حموش ، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
١٠٧-الماوردي ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، النكت والعيون ، د ط ، د ت .
١٠٨-الماوردي ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري ، تفسير الماوردي ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د . ت .
١٠٩-المجلسي ، محمد باقر(ت ١١١١هـ) ، بحار الأنوار . د ،ط ، د ت .
١١٠-مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ط١ ، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣ .
١١١-محمد العبد ، المفارقة القرآنية ، ط١، دار الفكر العربي ، ١٤١٥ - ١٩٩٤ .
١١٢- محمد بن الفتح البعلي (ت ٧٠٩)، المطلع على ألفاظ المقنع ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
١١٣- محمد بن عبد الله الخطيب (ت ٧٣٧هـ) ، مشكاة المصابيح ، تح: محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨٥م .
١١٤- محمد بن ابن العربي عبدالله بن أبي بكر (ت ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن ، ط ١ ، دار الجيل،د. ت .
١١٥- محمد بن مكرم ابن منظور بن علي (ت ٧١١ه) ، لسان العرب ، ط٣ ، بيروت، ١٤١٤ هـ .
١١٦- محمد أحمد مصطفى (ت ١٣٩٤ه) ، زهرة التفاسير ، ط ١ ، دار الفكر ، لبنان ، د ت .
١١٧-محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) ، التفسير المبين ، ط ٣ ، مؤسسة البعثة ، د ت .
١١٨-محمد جواد مغنية ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ط١، دار الكتب الإسلامية ، ١٤٢٤هـ.
١١٩- محمد سيد الطنطاوي (ت ١٤٣١هـ) ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
١٢٠- محيي الدين درويش (ت ١٤٠٣هـ) ، إعراب القرآن وبيانه ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
١٢١-المدرسي ، محمد تقي بن محمد ، مقاصد السور ، د ط ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٤٣٤ هـ .
١٢٢-المدرسي ، محمد تقي بن محمد ، من هدى القرآن ، ط١ ، دار محبي الحسين ، ١٤١٩هـ .

١٢٣-المراغي ، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .
١٢٤-المرسي بن سيده ، علي بن إسماعيل (ت ٤٠٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٢٥-المستعصمي ، محمد بن أيدمر(ت ٧١٠هـ) ، الدر الفريد وبيت القصيد ، ط١ ، تح: كامل سلمان ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
١٢٦-محمد بن طاهر ابن عاشور (ت ١٩٧٢م) ، التحرير والتنوير ، ط ١، مؤسسة التاريخ ، د . ت .
١٢٧-المصطفى سعيد الخن ، محي الدين ديب ، العقيدة الإسلامية أركانها - حقائقها - مفسدتها ، د . ط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، د . ت .
١٢٨-المقداد السيوري ، مقداد بن عبد الله (ت ٨٢٦هـ) ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
١٢٩-الملكاوي ، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، ط ١ ، مكتبة دار الزمان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٣٠- المنيب محمود بن أحمد الطحان (ت ٢٠٢٢٢م) ، الإعجاز في القرآن طريق إلى الأيمان ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١٣١-المهران الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ)، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٣٢-الميبدي ، أحمد بن محمد ،كشف الأسرار وعدة الأبرار ، د . ط ، ١٤١٣ هـ .
١٣٣- ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط١ ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، ١٤٢١هـ .
١٣٤-النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط٢، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .
١٣٥-النيسابوري ، أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، د ط ، دت.
١٣٦-النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد (ت ٨٥٠هـ) ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ .

١٣٧-الهاشمي ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت ٢٣٥ هـ) ، المحبر ، د ط ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
١٣٨-الهروي ، القاسم بن سلاّم بن عبد الله (ت ٧٧٤هـ) ، فضائل القرآن ، ط١ ، بيروت ، ت١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ .
١٣٩-الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر(ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، د ط ، د ت .
١٤٠-الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
١٤١-الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي ، أسباب نزول القرآن ، تح: كمال بسيوني زغلول ، ط١، بيروت ، ١٤١١ هـ .
١٤٢-الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
١٤٣-الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي ، أسباب نزول القرآن ، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، ط ٢ ، دار الإصلاح ، الدمام ، ت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٤٤-الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، ط ١ ، ت ١٤٣٠هـ .
١٤٥- وهبه الزحيلي ، بن مصطفى (ت ١٤٣٦هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .
١٤٦- وهبه الزحيلي ، بن مصطفى ، التفسير الوسيط ، د .ط ، د .ت .

الرسائل والأطاريح

١ - علي كردي مهدي ،المناهج التفسيرية الأربعة (التحليلي، الإجمالي ،المقارن ،الموضوعي) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير ، العراق ، جامعة الكوفة كلية الفقه ،شوال/١٤٤١ هـ - حزيران/٢٠٢٠م ، ١٠٤ .

المجلات والدوريات

١ – إبراهيم بن محمد بن عرفة الطنطاوي ، عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان ، بحث منشور مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٧٨ ، ١٤٣٦ هـ .

٢ –حفصة غازي المقارنات القرآنية ومقاصدها (دراسة وتحليل) بحث منشور في كلية اصول الدين ، العدد١ مجلد ٥٦ ، ١٠٧ .

٣ – الدكتور حميد مصطفى ناجي ، مظاهر العنف ضد المرأة عند العرب قبل الإسلام ، جامعة الكوفة ، كلية الآثار ،بحث منشور في مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، العدد ٧٥ ، حزيران ، ٢٠٢٠.

٤ – الدكتور القيسي، عبد القادر عبد الحميد ، في مجلة كلية الشريعة ،كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد ، العدد السادس ، ١٠٦ .

٥– الدكتور المشني ، مصطفى أبراهيم ،التفسير المقارن دراسة تأصيلية ،قسم أصول الدين ، كلية الشريعة ، الجامعة الاردنية بحث منشور مجلة الشريعة والقانون ، العدد السادس والعشرون، ربيع الأول ١٤٢٧هـ . – ابريل – ٢٠٠٦ ، ١٤٣ .

٦ – الدكتور يونس عبد مرزوك، التقابل اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، كلية الإمام الأعظم بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الاسلامية ، العدد ٢٨ ، ٢٠١٢.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of all creation, Muhammad and his good and pure family. The Holy Qur'an is the perfect and only heaven's speech in drawing the road map for humanity towards an ideal and sublime life in all its fields, the aim of which is to raise the status of man and human society through laws

Constitutional rules that regulate the relations between human beings at the level of human beings, human beings in society, and societies with each

other. A fertile stream of ideas, an inexhaustible source and a renewed giving to benefit from it, as many sciences and life topics were deposited in it, the main goal of which was to treat the realities of society and organize it according to the visions of the heavens. Through the topics included in these texts, and among those topics that can be called (comparison) between different things in the belief, legislative, educational, ethical, scientific and other lifestyles, and it appears that the main purpose of this topic - comparison - is to correct the negative lifestyle Towards a positive lifestyle.

The nature of the research necessitated that it be divided into an introduction,and three chapters, and a conclusion. The title of the introduction came as the semantic statement of the concept of comparison The first chapter was entitled (Comparison within the scope of verses of faith), while the second chapter bore the title (Comparison within the scope of verses Judgments)The third chapter is based on the title of (Comparison within the scope of moral and educational verses).

In writing, the study relied on the analytical descriptive approach to reach the fruitful results, which the researcher reached during the course of the study The research process, which was as follows:

1 -The concept of comparison has been crystallized with many meanings for lexicographers, such as: equilibrium, contrast, paradox,ccompaniment,equality, assay.

2-It turns out that the comparison has many tools, which were mentioned in the Holy Qur'an and indicated both sides of the comparison, such as the interrogative tool Is Neither is the negation and the letters of simili.

3-The Qur'anic inimitability is shown between the two sides of the comparison in the expressions that were mentioned in the research, and you find them on the same morphological scale, such as (the bad and the good, the sedentary and the mujahideen, the unbelievers and the believers, the good and the bad deeds ..... etc. of the words.

4- The occurrence of comparison and its meanings in the content of the textual content of many of the verses mentioned in Surat Al-Nisa, such as companionship, analogy, equality, contrast, and balance.

5 - It is appeared that the comparison can show the central themes through their opposites and consolidate them in the mind, which reveal the relationship between them.

6 - It seems that comparison is the main and important tool through which we reach the truth of the thing compared to it.

7-It became clear that many topics were dealt with by comparison with treatment and identification of its foundations, as is the case in the statement of comparison between the believers and the unbelievers, the educated and the uneducated, the good and the malicious... etc. This situation applied to many of the verses of Surat An-Nisa.

8-It was cleaved that the comparison is of great importance through the Qur'anic texts at the level of the Qur'an in general and Surat Al-Nisa' in particular.

And our last prayer is that praise be to God, Lord of the worlds

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Al-Muthana College of Education for Human Sciences
Department of Quran sciences and Islamic education

(A Comparison in the Surat Al-Nisain terpretive study)

Ziyad Arhim Hassan

to the council of college of Education for Human Science/ University Muthana as partial fulfillment of the Requirement for .Master Degree inQuran Sciences and Islamic Education

Supervised by

Assist prof.Dr. Laith Abbas Jassim

2023 A.D 1444 A.H